

ائمة الادب

٢



عنيت بنشره

مكتبة آداب

مفروق الطبع محفوظة للمؤلف

١٣٢٩ هـ

١٩٣٠ م



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وآله
وصحبه والتابعين

الامة العربية اليوم في دور يقظة عامة ونهضة شاملة في العلوم
والاداب والفنون والعمران: والادب خير ما يعينها على هذه النهضة
ويمهد لها سبلها: والادب العربي في حاجة الى اخراجه للناس بصورة موجزة
وشكل أخاذ يواءم اذواق الناشئين ويرقى به في مراقي الدرس الحديث
ورسائل الاستاذ الحليل شاعر سوريا الكبير خليل مردم بك خير
ما يكتب في هذا الصدد، وحسب مكتبة عرفه خدمة للادب وجزاء على
جهودها اخراج مثل هذه الرسائل . وأملها وطيد بما سيتلقاها به محبو
الادب ومدرسه والراسخون فيه من سرور وجذل وما سيقدمونه اليها
من مساعدة ومؤازرة. والله الموفق

الناشر

عصر ابن المقفع

نشأ ابن المقفع في اواخر الدولة الاموية يوم كان عنصره
الفارسي مغلوبا على امره خاضعا للعرب في الدين والدنيا والعرب
اذ ذاك يسمون الفرس بالموالي بعد ان كانوا يسمونهم في الجاهلية
ابناء الاحرار .

وتشهد ابن المقفع ثورة الفرس على العرب تلك الثورة التي
قادها ابو مسلم الخراساني فكانت اكبر عامل في قيام الدولة
العباسية وتقويض الدولة الاموية فتنفس الفرس الصعداء وثأروا
لتيجان الاكاسرة من عمائم العرب .

ولقد كان مروان بن محمد آخر خلفاء الامويين المتعصبين
للعرب يحذر قومه من الدعوة العباسية المستنصرة بالعجم اذ كتب
عنه كاتبه عبد الحميد بن يحيى رسالة لفرق العرب حين فاض
العجم من خراسان بشعار السواد قائمين بالدولة العباسية قال فيها :
« فلا تمكنوا ناصية الدولة العربية من يد الفئة العجمية
واثبتوا ريشا تنجلي هذه الغمرة ونصحون هذه السكرة فسينضب
السيل وتمحي آية الليل والله مع الصابرين والعاقبة للمتقين »

ولكن قضي الامر فانقرضت دوله بني امية وقامت دولة بني
العباس ولم ينس بطلهم ابو جعفر المنصور صنعة الفرس فأقصى
العرب عن اعمال الدولة واستوزر من الفرس واستعمل واستقضى .
وكان من الوصايا التي بنيت عليها سياسة الدعوة العباسية : « ان
قدرت ان لا تبقى بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل »

على ان ابا جعفر كان احزم من ان يدع غلابة الفرس
يعيدون الدولة الفارسية كسروية كما كانت قبل الفتح العربي
فكربهم ومكروا به حتى قتل ابا مسلم راميا من وراء ذلك ان
يضع حدا لاحلامهم وله من خطبة بالمدائن بعد قتل ابي مسلم :
« ان من نازعنا عروة هذا القميص اجزئناه خبيء هذا الغمد
وان ابا مسلم بايعنا وباع الناس لنا على ان من نكت بنا فقد اباح
دمه ثم نكت بنا فحكمنا عليه حكمه على غيره ولم تمنعنا رعاية الحق
له من اقامة الحق عليه »

وكأن هذا الدواء لم يكن حاسما فخرج في خراسان رجل مجوسي
اسمه سباذ كان من اصحاب ابي مسلم وصنائه فظهر غصبا لقتل ابي
مسلم واعل انه يريد ان يمضي الى الحجاز ويهدم الكعبة وتبعه كثير
من المجوس والمزدكية والرافضة والمشيبة ولكن المنصور ابادهم ايضا .

واخذ ابو مسلم بعد قتله صفة دينية فالمسلمية وهم اصحابه
يعتقدون امامته ويقولون انه حي يرزق وانه سيخرج اليهم وعلى
هذه العقيدة قام اسحق التريكي احد اصحاب ابي مسلم وادعى ان
ابا مسلم رسول بعثه زرادشت صاحب دين الفرس .
فانظر كيف حاول غلاة الفرس ان يستعيدوا ملكهم ودينهم
ولفتهم ولكن بالرغم من كل ذلك فقد كان من المستحيل ان
تتحقق امانيتهم بعد ان دان اكثر الفرس بالاسلام وشاعت
بينهم العربية .

ومما يكن فلقد اصبح لهم في دولة بني العباس من نفوذ
الامر وخطر الشأن ما ليس بالقليل فانتعشت عاداتهم وبعثت
اعيادهم كالنوروز والمهرجان والرام والسنق (١) واتخذ الخلفاء
البستهم كالقلنسوة والاثواب المزركشة بالذهب ورويت اخبار
ملوكهم وترجمت كتب ادبهم وحكمتهم .

(١) النوروز ومعناه اليوم الجديد عيد للفرس عند نزول الشمس
اول الحمل . والمهرجان عيد يكون عند نزول الشمس اول الميزان . والرام
هو اليوم الحادي والعشرون من كل شهر من شهور الفرس وهو يوم
يلتذون به ويفرحون ومعنى الرام الراحة والفرح والسنق تعريب سده
وهي ليلة الوقود المشهورة عند الفرس الواقعة في العاشر من شهر بهمن .

ذلك الانقلاب في السياسة والاجتماع ترك اثرا عميقا في
لادب العربي و كان فاتحة عصر سار فيه الادب اشواطاً بعيدة
وطبعه بطابع استساغته الاذواق بل قل انه هياً اذواقنا لفهمه
والانس به والارتياح اليه والاهتزاز له فالشعر العربي مثلاً في
العصر العباسي اقرب الى شعورنا منه في العصر الاموي وصدر
الاسلام والجاهلية .

است من المغالين في اثر الفرس في الادب العربي فانا
لا ادعي ان تطور ادبنا كان نتيجة سيطرة الآداب الفارسية عليه
ولكني لا اجحد اثر العقلية الفارسية الذي كان عنصراً قوياً في
تطور الادب العربي وليس هنا محل الافاضة في اقامة الحججة على
ان العرب اثروا في الفرس اضعاف ما اثر الفرس في العرب واعلنا
نعالج هذا الموضوع مفصلاً عند الكلام على ابن العميد والصاحب
ابن عبد و لكن لا مندوحة من الالمام به هنا على سبيل الايجاز .

دان الفرس بدين العرب بعد الفتح وتسموا باسمائهم
وتعلموا لغتهم وهدروا الخط الفارسي واصطنعوا الحروف العربية
واصبحت اللغة الفارسية بعد الفتح غيرها قبله لكثرة ما دخل
عليه من الاقفاض العربية فالفرس والحالة هذه رقدوا الآداب

العربية كستعربين مطبوعين بطابع الروح العربية ومأخوذين
بسحرها الا ما اقتضته طبيعة العرق والارض من طراز التفكير
والفهم والحس والخيال .

لم يكن الانقلاب العباسي انقلابا سياسيا فحسب بل نجم
عنه انقلاب في الحياة الاجتماعية والفكرية وهبت على اثره حركة
علمية قوية فدونت الكتب وترجمت كتب اليونان والفرس
وظهرت اراء في الدين وفلسفة ورفعت الشعوية عقيرتها وتغض
الزنادقة والملاحدة رءوسهم وقاموا بدعوات مصدرها دين
زرادشت ومزدك .

اما الحياة اذ ذال فقد اقتضت طبيعة الحضارة ان يرتاح
القوم الى متعها ولذاتها يأخذوا بنصيب غير يسير من شهواتهم
فشاع الغناء والشراب وظهر الخلاء والمجان والباحيون على كثرة
المنكرين اتملك الاعمال من العناء الاتقياء والزهاد الصالحين .

كل ذلك فتح اسلادب العربي ابوابا لم تكن مفتوحة على
مصرعها من قبل فتنوعت الاغراض وكثرت الفنون وتعددت
المناحي وظهر التأني في النثر والشعر وطلبت الرقة والدمائة فضلا
عما اوحته تلك الحياة من سمو في الخيال وعمق في التفكير مع

المحافظة على فصاحة العربية والاخذ بأساليبها .
والحق ان مرونة العربية وسعة مادتها ساعدها على تقبل
تلك العناصر الجديدة وصبغها بصبغة عربية لا عجمة فيها وذلك
من خصائصها التي مازتها عن كثير من اللغات ولولا ذلك لما
اتبع لها ان تكون لغة الدين والسلطان والعلم والادب .
هذا هو العصر الذي كان ابن المقفع احد اعلامه ومفاخره .

شعب ابن المقفع

ابن المقفع فارسي الاصل والفرس شعب آري عريق في
الملك والحضارة والعلم والحكمة والادب وله دين واساطير . واسم
نبيه زرادشت واسم كتيبه افست وتعاليم زرادشت مؤسسه
على مبدأين متقابلين وهما هرمز او الله مبدأ الخير واهرمز مبدأ
الشر وزروان اكبرين اي الوقت غير المحدود وهو فوق
المعبودين السابقين في القدرة والمنزلة . وشريعته جارية على مبادئ
حياة الافراد وشؤونهم من حيث الحقوق والواجبات . ولقد
دعا الى عبادة النرونيه اى ثواب الاخرة وعقابها .

ومن اديان الفرس ايضا دين ماني القائل بان مبدأ العالم
كونان احدهما نور والاخر ظلمة . وكذلك دين مزدك القائل
يتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات وترك الاستبداد
والمشاركة في الحرم والاهل وفعل الخير وترك القتل وادخال
الآلام على النفوس .

وكان لملوكهم عناية بالغة في العلم والادب كالضحاك
واردشير بن بابك وابنه سابور واقد ترجمت فلسفة اليونان وحكمة
الهنود الى الفارسية فضلا عما الفه الفرس انفسهم والعرب يقرون
لهم بالعلم حتى ان النبي عليه السلام قال : « لو كان العلم معلقا
بالثريا لتناوله قوم من ابناء فارس »

اما كتب ادبهم وحكمتهم فالفضل في بقائها او التعريف بها للعرب
ومن كتب بالعربية من الذين ترجموها او اشاروا اليها لان الاصول
الفارسية درست ومن اجلها كتاب جاويزدان خرد الذي يقال انه
اقدم كتاب في العالم وضعه الملك اوشهنج ونقله من اللسان القديم
الى اللسان الفارسي كنجور بن اسفنديار ونقله الى العربية الحسن
ابن سهل ، وكتاب هزار افسان ومعناه الف خرافة وهو اصل
الف ليلة وليلة ، وكتاب روزية اليتيم ، وكتاب خرافة ونزهة ،

وكتاب الدب والشعلب ، وكتاب مسك زنانه وشاه زنات ،
وكتاب نمرود ملك بابل ، وكتاب رستم واسفنديار ، وكتاب
بهرام شوس ، وكتاب شهر يزداد مع ابرويز ، وكتاب الكارنامج
في سيرة انوشروان ، وكتاب الثج وما تقاتلت به ملوكهم ،
وكتاب دارا والصنم المذهب ، وكتاب خدائي نامه ، وكتاب
بهرام ونرسي ، وكتاب انوشروان ، وكتاب عهد اردشير . وغير ذلك
من الكتب التي لا محل لاستقصائها هنا . هذا فضلا عن الكتب
التي ترجمها ابن المقفع ، لما يرد ذكره الان والتي سيأتي الكلام
عليها فيما بعد .

واكن من اغريب ان امة هذا مبلغها في الملك والحضارة والعلم
والادب لم يحفظ لها التاريخ تيث من الشعر قبل الاسلام يعتد به .
واللغة الفارسية تنقسم الى ثلاثة اقسام : الفارسية القديمة
وعصرها من سنة ٥٥٠ الى سنة ٣٣٠ قبل الميلاد . والفهلوية وقد
ازهرت في عصر الساسانيين وعنها ترجمت الكتب الى العربية
وقد ظلت حية الى ما بعد الفتح العربي باكثر من قرن .
والفارسية العصرية وعصرها من بعد الفتح العربي الى العصر
الحاضر وهي التي دخل عليها كثير من الكلمات العربية بعد ان

دان اكثر الفرس بالاسلام .
على ان الفرس وان دانوا بالاسلام فما زالت ~~توسمهم~~ ^{تتم}
تطمع الى الاستقلال عن العرب قال احد غلاتهم :

انا ابن الاكارم من آل جم وطاب ارض ملوك العجم
فقل لبني هاشم كاهم هلموا الى الخلع قبل الندم
وعودوا الى ارضكم بالحجاز واكل الضباب ورعي الغنم
والذين لم يحسن اسلامهم من الفرس قاموا في صدر الدولة
العباسية بمقالات دينية تضرب بعرق الى المجوسية وفتنوا بها
كثيرا من الناس مثل بها فريد المتكهن الذي كان يصلي الصلوات
الخمس بلا سجود متياسرا عن القبلة وسنباذ واسحق المذنب مر
ذكرهما وغير اولئك ممن حارب العرب بالقول او الفعل .

اما الذين لم يدخلوا في الاسلام فقد بقي كثير منهم في
بلادهم على المجوسية وظلت بيوت نيرانهم موقدة يقضون بها
مناسكهم .

ولئن شاعت العربية في بلاد فارس وحدثها العلماء بالفارسية
ظلت حية بين ابناءها فلقد روي عن جيش المختار الذي ثار على
عبد الملك بن مروان انه كان يتكلم بالفارسية . وهذا ابو تمام

الطائي يقول وقد سمع مغنية فارسية في ابر شهر :

اياسهري يبلدة ابر شهر	ذمت الي في نومي سواها
شكرتك ليلة حسنت وطابت	اقام سرورها ومضى كراها
سمعت بها غناء كان اولي	بان يقتاد نفسي من غناها
ومسمعة يحار السمع فيها	ولم تصمعه لا يصم صداها
مرت اوتارها فشت وشاقت	ولو يستطيع حاسدها فداها
ولم افهم معانيها ولكن	ورت كبدي فلم اجعل شجاها
فبت كائنني اعمى معنى	يجب الغانيات وما يراها

وقد كان ذلك في اوائل القرن الثالث . وفي القرن الرابع
سمعنا المتنبي يقول في شعب بوان :

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها سايمان اسار بترجان
وهكذا فلقد ضن الفرس بلغتهم وتحينوا الفرص حتى اتبع
لهم ان يستقلوا عن العرب ويكونوا لهم ادبا رائعا .



اثر العرب في الفرس

العرب والفرس امتان متجاورتان كان اتصال بينهما قبل الاسلام وبعده وتكت كل منهما اثرا في الثانية . اما اثر العرب في الفرس قبل الاسلام فضئيل لان الفرس كانوا اعظم من العرب في الملك والحضارة والعلم . ومع ذلك فقد اتخذ الاكاسرة كتابا من العرب كلقيط بن يعمر الايادي الشاعر الجاهلي القديم الذي كان كاتباً في ديوان سابور ذي الاكتاف في القرن الرابع للميلاد وهو صاحب القصيدة البارة التي يحذر بها قومه من غزو الفرس والتي منها قوله :

وقلدوا امركم الله دركم

رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا

وعدي بن زيد العبادي كاتب كسرى .

ولقد كان للفرس رأي حسن في اخلاق العرب وتربيتهم فقد روى ان بهرام جور احد ملوك الفرس ارسله ابوه وهو حدث الى المنذر بن النعمان ملك الحيرة ليشرف على تهذيبه وتعليمه فاحضر له موءدين علموه الكتابة والرمي والفقه واجاد

العربية وظل في الحيرة حتى مات ابوه وساعده المنذر على تمليكها على الفرس وكان ذلك في اوائل القرن الخامس للميلاد . ومن هنا وهم ادباء الفرس وقالوا ان بهرام هو الذي ابتكر الاوزان الشعرية وفاتهم انه تلقاها عن العرب في الحيرة .

ثم لما بعث النبي عليه السلام كان سلمان الفارسي اول من آمن به من الفرس فدان بالاسلام واخلص له حتى قال النبي عليه السلام « سلمان منا اهل البيت »

ولما فتح العرب بلاد فارس في خلافة عمر رضي الله عنه بدأ الفرس يدخلون في الاسلام فلم ينقض القرن الاول حتى شملهم الاسلام الا قليلا منهم وشاعت بينهم اللغة العربية واختلطوا بالعرب وتسموا باسمائهم وكتبوا الفارسية بالحروف العربية واثرت فيهم الثقافة الاسلامية اثرا عميقا بل خلقتهم خلقا جديدا حتى جعلتهم يقطعون الصلة بينهم وبين ادبهم القومي قبل الاسلام الا يسيرا منه .

قال نولدكي : « ان الاداب اليونانية لم تمس من حياة الفرس الا ظاهرها ولكن دين العرب وسنتهم نفذت الى قلوبهم »
فاللغة الفارسية بعد الاسلام اصبحت غيرها قبل الاسلام لكثرة

ما دخل عليها من الكلمات العربية واساليب بيانها واصبح
القرآن والحديث مصدر الادب الفارسي فشاع الاقتباس منهما
والاشارة اليهما حتى انه يكاد يكون في كثير من مناحيه ادبا
عربيا مترجما فالاوزان الشعرية ومصطلحات فنون البلاغة في
المعاني والبيان والبديع مأخوذة باعينها عن العربية فضلا عن
الاستشهاد بتاريخ العرب وخلفائهم وضرب المثل ببلغائهم وشعرائهم
واعتبارهم المثل الاعلى في البلاغة حتى ان الناظر في الادب الفارسي
ليصعب عليه فهم روحه اذا لم يكن ذا الملم بالحياة الاسلامية
واللغة العربية .

وقد كان من اللباقة في المنطق والانشاء ان يكثر الفارسي
من استعمال الالفاظ العربية قال كيكوس حفيد قابوس ابن
وشمكير في كتاب الفه لتهديب ابنه جيلان شاه واسمه قابوسنامه
« اذا كتبت رسائلك بالفارسية فلتكن مشوبة بالعربية فان
الفارسية الصرف لا تعذب في المذاق »

اجتهد الفرس في تكوين ادبهم هذا ولكن اللغة العربية كانت
صاحبة المحل الارفع عندهم فقد ظلت لغة الدين والحكومة والعلم
فيما بينهم حتى بعد ان استقلوا عن العرب ، وظلوا يصطنعونها في

تلك الاغراض الثلاثة حتى اجتاحت المغول بلادهم في الق. ت
السابع فاضحت منذ ذاك الحين لغة الدين والفلسفة فقط .

ويجدر بنا هنا ان نورد دايلا من كلام ابن المقفع على مبلغ
اكبار الفرس للعرب قال : « ان العرب حكمت على غير مثال
مثل لها ولا اثار اثرت اصحاب ابل وغنم وسكان شعر وادم يجود
احدهم بقوته ويتفضل بمجهوده ويشارك في ميسوره ومعسوره
ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ويفعله فيصير حجة ويحسن
ما شاء فيحسن ويقبح ما شاء فيقبح ادبتهم انفسهم ورفعتهم همهم
وأعلتهم قلوبهم والسنتهم فمن وضع حقهم خسر ومن انكر فضلهم
خسبم »

واليك مثالا آخر يدلك على مبلغ تأثير الفرس بالروح الاسلامية
ومقتهم لعاداتهم المجوسية حتى الاعياد القومية منها كتب بديع الزمان
الهمداني رسالة في ذم السدق وهو احد اعياد الفرس المشهورة
جاء فيها : « هذا هو العيد والاضلال البعيد انهم يشبون نارا هي
موعدهم والنار في الدنيا عيدهم والله الى النار يعيدهم ومن لم يلبس
مع اليهود غيارهم لم يعقد مع النصارى زناهم ولم يشب مع
المجوس ناره ان عيد الوقود لعيد افك وان شعار النار لشعار

شرك وما انزل الله بالسذق سلطاناً ولا شرف نيروزا ولا
مهرجانا وانما صب الله سيوف العرب على رؤوس العجم لما كره
من اديانها وسخط من نيرانها واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
حين مقت افعالهم »

ولهذا الحديث شجون وهناك كثير من الادلة على مبلغ اثر
العرب في الفرس من حيث الدين والادب نكتفي بما ذكرناه هنا
على ان نأتي بالبقية في رسالة الوزيرين ابن العميد والصاحب
ابن عباد .

ولعل القاريء بعد الآن لا يستسرف نبوغ الفرس في
الادب العربي بعد ان راز مبلغ اثر العرب فيهم وابن المقفع
واحد منهم .

اثر الفرس في العرب

كان اتصال بين العرب والفرس في الحيرة واليمن قبل الاسلام وفي بلاد فارس بعد الاسلام . اما في الحيرة واليمن فقد كانت السيادة للفرس لان ملوك الحيرة كانوا تحت سيطرة الاكامرة كما انهم اعانوا عرب اليمن على اخراج الاحباش من ارضهم وكان ذلك بسعي سيف بن ذي يزن لدى انوشروان فعرف اليمنيون هذه الصنيعة لهم ودعوهم ابناء الاحرار، وما زالت سنتهم رطبة بالثناء عليهم حتى بعد الاسلام بنحو ثلاثة قرون . قال البحتري في تصديده في ايوان كسرى يشير الى جميل صنعهم مع اجداده اليمنيين :

موقوفات على الصباية حبس	... فلها ان اعينها بدموع
باقتراب منها ولا الجنس جنسي	ذاك عندي وايسر الدار داري
غرسوا من ذكائها خير غرس	غير نعى لاهلها عند اهلي
بكساة تحت السنور حمس	ايدوا ملكا وشددوا قواه
ط بطعن على النحور ودعس	واعانوا على كتائب اريا
مراف طرا من كل سنخ واس	واراني من بعد اكلف بالاش

واما في بلاد فارس فقد كان العرب هم السادة . واثروا الفرس
في العرب قبل الاسلام ، لم ينفذ الى قلوب العرب ، لانهم لم
يدينوا بدينهم ، اللهم الا مجوسية في تميم وزندقة في قريش ، ولم
يكونوا في الحيرة واليمن محكومين لهم حكما مطلقا . ولان للعربي
حرية غريزية ، تأبى عليه الانقياد لغيره ، ولانه فخور بعروبته ،
مزهو ببلاغته . على ان اتصال العرب بالفرس ومجاورتهم لهم ادخلت
على العربية طائفة صالحة من الالفاظ الفارسية مثل « حربا (١)
وبربط (٢) وابريق (٣) واستبرق (٤) ويرندج (٥) ودمقس (٦)

-
- (١) الحرباء دويبة معروفة وهي تعريب خربا اي متقرب الشمس .
(٢) البربط العود وفارسيته بربت اي صدر الاوز لانه يشبهه .
(٣) معرب أبريز ومعناه يصب بالماء .
(٤) الاستبرق الديباج الغليظ وهو معرب عن استبر ومعناه الغليظ .
(٥) اليرندج جلد اسود تعمل منه الخفاف قال الشماخ :
ودوية قفر تمشي نعامها كشي النصارى في خفاف اليرندج
وهو بالفارسية رنده .
(٦) معرب دمسه ومعناه الحرير الابيض .

وزنق (١) وبخ بخ (٢) وغرنوق (٣) وفتزج (٤) وقالوذ (٥) وياسمين وشاهسفرم ونرجس (٦) والخورتق والسدير (٧) الى غير ذلك من الكلمات الفارسية التي استعملها العرب قبل الاسلام بعد ان عربوها وتداولها بلغاؤهم في اشعارهم . واقد اغرق بعض منتظمي الفرس وزعم ان مكة تلب البلاد العربية ومبعث نور الاسلام اسم فارسي مركب من ماء اي القمر وكاه اي محل . وقد اذنت اللغة الفارسية في الشاعر عدي بن زيد العبادي

(١) وزنق ماء وف وبالفارسية زنبه قال الاعشى :
اذا تقوم يضوع المسك اصورة والرنق الورد من اردائها ثمل
(٢) بخ بخ كلمة استحسن وفي الفارسية بخ بخ .
(٣) الغرنوق الشاب الابيض الطريف مركب من غرا اي ابيض ونيك اي جميل .

(٤) الفنزج رقص للعجم معرب منهجه .
(٥) الفالوذ حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل تعريب بالوده .
(٦) الياسمين معروف والرحس كذلك معرب تركس والشاهسفرم ومعناه الريحان السلطاني وتريب شاه اسير غم وقد وردت الثلاثة في قوله الاعشى : وشاهسفرم والياسمين ونرجس .

(٧) الخورتق والسدير قصران للبحار من المنذر وخورتق مركب من خورن اي آكل وكاه اي محل وسدير تعريبه دير اي ثلاث قبب لانه كان ذا ثلاث قبب .

كاتب كسرى حتى ثقل لسانه لذلك فالعلماء لا يرون شعره حجة .
وكذلك اعشى قيس فانه كان يفسد على ملوك فارس ولذلك
كثرت الفارسية في شعره كما قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء .
ولم يقف الامر عند اللغة والشعر بل تعداه الى العلم فالحرث
ابن كلدة الثقفي طبيب العرب رحل الى ارض فارس واخذ الطب
عن اهل تلك الديار من اهل جند يسابور وذلك يقتضي تعلم لغتهم
واقطانها .

هذا وقد وقع في القرآن الكريم عدة كلمات فارسية مثل
مهندس واستبرق واباريق وزنجيل . وروي عن النبي عليه السلام
انه استعمل كلمات فارسية على سبيل التلطف . قال ابو هريرة :
« هجر النبي ﷺ فهجرت وصليت ثم جاست فالتفت الي وقال :
شكم درد ؟ (١) فقلت : نعم . فقال ثم فصل فان في العسلة سقاء »
ثم لما فتح العرب بلاد فارس ودان الفرس بالاسلام بقيت
الفارسية مستعملة في دواوين الحكومة هناك الى ايام عبد الملك
ابن مروان اذ امر بنقلها الى العربية فلما حلت العربية محل
الفارسية لم يجر العرب غضاضة في اقتباس بعض مناهج الكتابة

(١) وفي رواية اشكنب درد ومعنى ذلك هل وجع بطنك .

الديوانية عن الفرس فلقد روي عن عبد الحميد بن يحيى كاتب بني أمية أنه استعان بالأوضاع الفارسية لما شرع معالم الكتابة العربية . قال أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين : « من عرف ترتيب المعاني واستعمال الالتقاط على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام ما تهيأ له في الأولى إلا يرى أن عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي فحوّلها إلى اللسان العربي »

ولكن نقل الدواوين من الفارسية إلى العربية لم يجعل القوم يتناسون لغتهم بل ظلت حية فيما بينهم مع تعلمهم اللغة العربية وكان لهم شأن في الأدب وأمور الحكومة أيام بني أمية قال سليمان بن عبد الملك : « العجب لهذه الأعاجم كان الملك فيهم فلم يحتاجوا إلينا فلم وإينا لم نستغن عنهم » وقال أيضاً : إلا نتعجبون من هذه الأعاجم احتجنا إليهم في كل شيء حتى في تعلم لغاتنا منهم »

ومن علمائهم الذين اشتغلوا باللغة والأدب في أيام بني أمية عنبسة القيل أحد أصحاب أبي الأسود الدؤلي وأبو داود عبد الرحمن بن هرمز الأعرج توفي في أيام هشام بن عبد الملك وحامد

الراوية الذي كان بنو امية يستزيرونه من الكوفة ليحدثهم بايام
العرب وينشدوهم اشعارها وحماة عجرد الذي نادم الوليد ابن
يزيد وابو العباس الاعشى واسمه السائب بن فروخ احد شعراء
بني امية وزياذ الاعجم الشاعر المتوفى سنة ١٠٠

هذا الى ما لهم من الاثر البين في الغناء العربي والموسيقى
العربية في القرن الاول فان الغناء العربي مازال ساذجا حتى
ظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائب خاثر فسمعوا شعر
العرب ولحنوه واجادوا فيه .

ولا محل هنا للاسهاب بذكر من اشتركوا في تدوين
العلوم الاسلامية من الفرس كالقراءات والحديث والفقه وما
يتفرع عنها لان عددهم عظيم جدا حتى قال ابن خلدون : « من
الغريب الواقع ان حملة العلم في الملة الاسلامية اكثرهم العجم »
وقد شرعت مقالاتهم وآراؤهم في الدين تنتشر رويداً
رويداً منذ ايام بني امية حتى انها دبت لبعض الخلفاء فالجعد ابن
درهم مولى سويد بن غفلة كان صاحب رأي اخذ به جماعة بالجزيرة
ويروى انه كان يرى رأي المنانية فاستهوى مروان بن محمد آخر
خلفاء بني امية لانه كان مؤدبه ولذلك رمى مروان بالزندقة .

قال ابن ابي ليلى قال لي عيسى بن موسى وكان ديانا شديد
العصبية من كان فقيه البصرة ؟ قلت الحسن بن ابي الحسن ، قال
ثم من ؟ قلت محمد بن سيرين قال فما هما قلت موليان . قال فمن
كان فقيه مكة ؟ قلت عطاء بن ابي رباح ومجاهد وسعيد ابن
جبير وسليمان بن يسار قال فما هو لآء قلت موالي . قال فمن
فقيه المدينة ؟ قلت زيد بن اسلم ومحمد بن المنكدر ونافع ابن
ابي نجيح قال فما هو لآء قلت موالي فتغير لونه ثم قال فمن افقه
اهل قباء ؟ قلت ربيعة الرأي وابن ابي الزناد قال فما كانا قلت
من الموالي فسار بد وجهه ثم قال فمن كان فقيه اليمن ؟ قلت
طاوس وابنه وابن منبه قال فما هو لآء قلت من الموالي فانتفخت
اوداجه وانتصب قاعدا وقال فمن كان فقيه خراسان ؟ قلت
عطاء بن عبدالله الخراساني قال فما كان عطاء هذا قلت مولى
فازداد وجهه ترابا واسود اسودادا حتى خفته ثم قال فمن كان فقيه
الشام قلت مكحول قال فمن هذا قلت مولى فتنفس الصعداء ثم قال
فمن كان فقيه الكوفة ؟ فوالله لولا خوفه لقلت الحكم بن عتيبة
وعمار بن ابي سليمان ولكن رأيت فيه الشر فقلت ابراهيم
والشعبي قال فما كانا قلت عريان قال الله اكبر وسكن جأشه .

كان ذلك والعرب لم تفرق كلمتهم بعد ولم تنطفي جمرتهم
فلما ادبل من بني امية لبني العباس بمونة الفرس عظم شأنهم
وطغى نفوذهم وبعث كثير من عاداتهم واعبادهم واتخذت البستهم
وما آكلهم في قصر الخلافة واصبح الوزراء والقواد منهم ور بما
كان ديوان الوزارة وضعا من اوضاع الفرس في الدولة العباسية
لان بني امية لم يتخذوا وزراء

هذا من حيث القوة اما من حيث الادب فقد ترجمت
طائفة من كتب ادبيهم وحكمتهم وشاعت اخبار ملوكهم وحكائهم
حتى اندمجت فيما بعد مع اخبار خلفاء العرب خذ مثلا كتاب
التاج للجاحظ واقراء فصلا من فصوله تجد كيف بنقل اخبار
الأكاسرة والخلفاء كأنهم من عنصر واحد وهكذا قل عن بقية
كتب الادب فانها تضم كثيراً من آداب الفرس وحكمتهم .
وظهر منهم كتاب وشعراء ومترجمون نغوا في العربية نبوغاً
لا يزال موضع الإعجاب كابن المقفع الذي عقدت هذه الفصول
لأجله وبشار بن برد ومروان بن أبي حفصة وبرزوا في كل علم
من علوم اللغة والادب . وكذلك في العلوم الإسلامية كافة ولو
لم يخرج منهم الا الامام ابو حنيفة الذي مازالت انبأه اكثر

من اتباع كل امام لكفى . وهناك آراء ومذاهب ومقالات في الدين قام بها الفرس تتحرف عن سماحة الاسلام بمقاييس مختلفة ماعدا الزندقة التي كان الفرس سبب ادخالها على المسلمين والمناوية التي اتهم بها عدد من المشاهير في صدر الدولة العباسية حتى اضطر المهدي لتتبع الزنادقة والبطش بهم .

اما التصوف فقد لاقى من نفوس الفرس منزلا رحبا لانهم ذوو نفوس حساسة وخيال واسع فأثر في افكار متصوفتهم احسن الثمرات ولولا نبوغ بعض العرب في هذا الطريق لغلب على الظن ان الصوفية وليدة الروح الفارسية .

هذا ولم يقف النفوذ الفارسي في صدر الدولة العباسية عند السياسة والعلم والادب بل اخذ القوم بطرائقهم في الملبس والاثاث والآنية والمأكل ، حتى ان ملوكهم كانت تصور على اقديح الخمر . قال ابو نواس :

تدور علينا الكأس في عسجدية	حبثها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها	مها تدرىها بالقسي الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبهم	وللها ما دارت عليه القلائس
واسماء الملبس والمآكل والاولاني والازهار والاثاث تدلث	

على دبلغ الاثر الفارسي لان كثيرا منها معرب عن الفارسية .
فيمكننا والحالة هذه ان نقسم اثر الفرس في الازب العربي
الى قسمين الاول في دولة بني امية والثاني في دولة بني العباس .
اما في عهد الامويين فقد كان الازب عربياً خالصاً في المادة والمعنى
ولم يكن للفرس عمل فيه الا مدارسته وحفظه وروايته . واما في
عهد بني العباس فقد كان اثرهم اعمق لا في الاسلوب البياني بل في
التفكير والحس والخيال ، لانهم حرصوا كثيراً على الديباجة
العربية واساليب العرب في البلاغة فكان من وراء ذلك خير
للادب كثير . فهم والحالة هذه عرب في لغتهم وفصاحتهم
واساليب بيانهم ، فرس في نسبهم وتفكيرهم وشعورهم واخيلتهم .

نسب ابن المقفع ووطنه

كل من ترجم لابن المقفع لم يذكر غير اسمه واسم ابيه «روزبه بن داذويه» وان كنيته قبل ان يسلم ابو عمرو وبعد ان اسلم سمي عبد الله وكني بابي محمد وانه من اصل فارسي ، الا ابن النديم فانه عرفنا باسم جده «المبارك» وان آباءه من خوز . وبلاد خوز وتعرف بخوزستان ، ويسمونها العرب الاهواز قرية من البصرة ، نزلتها القبائل العربية منذ الفتح . قال ياقوت في معجم البلدان : ارض خوزستان اشبه شيء بارض العراق وهوائها وصحتها . واما لسان اهل خوزستان فان عامتهم يتكلمون بالفارسية والعربية ، غير ان لهم لسانا آخر خوزيا ليس بعبрани ولا سرياني ولا عربي ولا فارسي ، والغالب عليهم الاعتزال وفي كورهم جميع الملل .

اما داذويه والد ابن المقفع ، فقد كان مجوسيا مستعربا ، ولاه الحجاج بن يوسف الثقفي خراج بلاد فارس فنال شيئا من مال السلطان فزربه الحجاج حتى تقفعت يده فلقب بالمقفع ، وعرف ابنه بابن المقفع .

ولد ابن المقفع حوالي سنة ست ومائة وسماه والده روزبه .
ونشأ بالبصرة في ولائ آل الاهتم . والبصرة بلدة اختطتها العرب
في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانت لعهد ابن المقفع
اعظم مدن العلم والادب في الاسلام ، لاسيما اللغة والفصاحة
وفنون الادب ، لان بغداد لم تكن بنيت بعد . وهي في ذلك القرن الاول
مجمع اهل العلم والادب ، فيها المريد الذي خلف سوق عكاظ في
الجاهلية ، كان يومه الشعراء مع روايتهم للمناضلة والمناشدة ،
وفيه مجالس للعلم والادب ، وحلقات للمناشدة والمفاخرة ، ومن
اشهر حلقاته حلقة الفرزدق وراعي الابل . ورجال الادب الذين
نبغوا في البصرة اعظم من ان يحصوا في مثل هذه الرسالة .
ويكفيك ان ابا الاسود الدؤلي اول من شرع وضع النحو هو
بصري ، وكذلك جماعته الذين اتوا من بعده كابن ابي اسحق
الحضرمي اول من عال النحو ، وعيسى بن عمر الثقفي اول من ألف
فيه ، وهرون بن موسى اول من ضبطه ، وسيبويه اول من اجاد
في تأليفه . والبصرة اذ ذاك مجتمع فصحاء الاعراب ايضا يقدون
اليها فيلقون كل تجلة واکرام من رواة اللغة والادب الذين يتلقون
عنهم شوارد العربية ونوادر الاعراب .

ولم تكن مدينة تناظر البصرة في تلك النهضة العلمية غير الكوفة ، فهما مدينتا العلم والادب في الاسلام ، ولكن البصرة كانت الراجحة ، والبصريين والكوفيين مذاهب في العربية ، احتدم الجدل بشأنها والى فيها عدد من الكتب .

وفي البصرة نبغ قتادة بن دعامة ، وبشار بن برد ، وصالح ابن عبد القدوس ، والرقاشي ، وابن منذر ، وسلم الخاسر ، وابو نواس ، والسيد الحميري ، والخليل بن احمد الفراهيدي ، وسيبويه ، وغيرهم من ائمة الادب في القرن الذي عاش فيه ابن المقفع .

وفي البصرة كان الحسن البصري يعقد حلقاته ويلقي دروسه العامة ومن تلك الحلقة نبغ واصل بن عطاء الغزال رئيس المعتزلة اذ ترك حلقة استاذه واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد ، ولذلك غلب الاعتزال فيما بعد على اهل البصرة .

بمثل تلك المدينة الفاضلة نشأ ابن المقفع في ولاء آل الاهتم وآل الاهتم معروفون بالبلاغة والفصاحة واللمس والخطابة والشعر في الجاهلية والاسلام ومنهم عمرو بن الاهتم الذي كان يضرب به المثل في البلاغة ، والذي كان في وفد بني تميم الى النبي ﷺ . قال ابن دريد في كتاب الاشتقاق : وفي بني الاهتم رجال

معروفون خطباء يطول الكتاب باسمائهم» وهكذا فقد اتبع لابن المقفع ان يشب بين معدن الفصاحة في مدينة العلم والادب .

اوليته

جرت العادة في تراجم ادبائنا ان لا يعنى المترجمون باولية الاديب ونشأته وكيف درس وبمن تخرج وعمن اخذ وما هي الحوادث التي جعلت منه ادبياً وانما يعرضونه لنا ثمرة ناضجة إلا في النزر اليسير . وابن المقفع احد من اغفلت هذه الجهات في سيرته بل احد اولئك الذين غمطوا في حياتهم ومماتهم وبعد مماتهم فابن خلكان لم يعقد له ترجمة خاصة بل ذكره بالمناسبة في ذيل ترجمة الحسين الحلّاج .

فلم يبق لدينا الا النبد المنتشرة في كتب الادب نجعلها ونستخلص منها صورة تمثل اولى ابن المقفع ما امكن مع الاستعانة بالزمن والبيئة التي عاش فيها .

عرفت ان ابن المقفع نشأ في البصرة وفي ولاء آل الاهتم وعرفت اي من كز للعلم والادب كانت البصرة ومن اهم آل الاهتم في الفصاحة فلا عجب ان يكون الناشئ في تلك البيئة من اعلام

البلاغة . اما مشايخ ابن المقفع في الفصاحة فلا نعرف الا واحدا منهم هو ابو الجماموس الاعرابي قال ابن النديم : « ابو الجماموس ثور بن يزيد الاعرابي كان يقد الى البصرة على آل سليمان ابن علي وعنه اخذ ابن المقفع الفصاحة ولا مصنف له » ولا ابن المقفع جملة تبدل على سعة روايته لكلام العرب قال : شربت الخطب ربا ولم اضبط لها روبا ففاضت ثم فاضت فلا هي نظاما وليس غيرها كلاما . على ان له فقرة اخرى تدل على مبلغ اعتماده على نفسه في ادب النفس والدرس ، سئل مرة من ادبك ؟ فقال : نفسي كنت اذا رأيت حسنا اتيته واذا رأيت قبيحا ابيته . اما معرفته بالفارسية فقد كان عالما بلغات الفرس وآدابها وخطوطها روى عنه ابن النديم اقوالا في لغات الفرس وخطوطهم تدل على رسوخ قدمه في ادب قومه . وبعض المعاصرين ممن ترجم له يدعي انه كان يعرف اللغة اليونانية لانه ترجم بعض الكتب اليونانية ونحن لا نرى ذلك لان ما نقله عن اليونانية انما كان ترجم الى الفارسية قبل ابن المقفع وهو نقله عن الفارسية كما سيأتي ذلك عند الكلام على كتبه .

عند ابن هبيرة

ابن المقفع وان كان معدودا من كتاب العصر العباسي
فانه بدأ حياته الكتابية في دولة بني امية وهو فتى لا يزيد عمره
كثيرا عن عشرين سنة . فحينما كان زميله عبد الحميد بن يحيى
يكتب بالشام لمروان بن محمد آخر خلفاء بني امية كان ابن المقفع
الشاب نابه الذكر يكتب لداود بن هبيرة في العراق .
وداود هذا كان مع ابيه والي العراق يزيد بن عمر ابن
هبيرة الذي ولاء مروان بن محمد سنة ثمان وعشرين ومائة وبقي
مع ابيه في العراق يدافعان دعاة بني العباس الى ان قتل مروان
سنة اثنتين وثلاثين ومائة فامن ابو جعفر يزيد بعد ان عجز عن
الظفر به ثم قتله ومن معه من اهله وحاشيته وكان داود من جملة
من قتل ولكن ابن المقفع نجى تلك المرة من سيف ابي جعفر
واستبقاه لوقت آخر مع انه قتل كاتبا غيره من كتاب ابن
هبيرة . ولم تبق الايام على اثر مما كتبه ابن المقفع عن داود .

عند بني العباس

خدم ابن المقفع بعد مقتل ابن هبيرة والى الامويين على العراق ، اعمام السفاح الثلاثة سليمان وعيسى واسماعيل ابناء علي ابن عبد الله بن عباس كما انه ترجم لابي جعفر المنصور كتباً في المنطق عن الفارسية . فقد كتب لعيسى بن علي ايام ولايته على كرمان وعلى يديه اسلم جاءه يوماً وقال له : قد دخل الاسلام في قلبي واريد ان اسلم على يدك فقال له عيسى ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فاذا كان الغد فاحضر . ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم فجعل يأكل ويترنم على عادة المجوس فقال له عيسى اترنم وانت عزم الاسلام ؟ فقال : كرهت ان ايت على غير دين . فلما اصبحت اسلم على يده وسمى بعبد الله وكنى بابي محمد وكا يكنى ابا عمرو .

وتأدب عليه بعض بني اسمعيل بن علي والى الاهواز ثم الموصل ولعل ذلك السبب في عده من المعلمين قال الجاحظ : « ومن المعلمين ثم البلغاء المتأدين عبد الله بن المقفع . . . »
وكتب لسليمان بن علي ايام ولايته على البصرة واعمالها

وقد دامت ولايته على البصرة من سنة ١٣٣ في خلافة السفاح الى سنة ١٣٩ حين عزله ابو جعفر المنصور وولى مكانه سفيان ابن معاوية الذي قتل ابن المقفع . وقد مات سليمان هذا سنة ١٤٢ وهي السنة التي قتل فيها ابن المقفع .

ولما خرج عبد الله بن علي والى الشام على ابن اخيه المنصور بالشام والجزيرة سنة ١٣٧ وهزمه المنصور فر عبد الله الى البصرة واحتس باخويه سليمان وعيسى وبقي هناك الى ان عزل اخوه سليمان سنة ١٣٩ فاخفى عبد الله خوفا من المنصور فطلبه المنصور من سليمان وعيسى فايما ان يسلماه اياه الا بامان يمليان شروطه وكتب هذا الامان عبد الله بن المقفع وتشدد به وتصب و كان من جملة ما كتبه : « ومتى غدر امير المؤمنين بعنه عبد الله ففساوه طوالق ودوابه حبس وعييده احرار والمسلمون في حل من بيعته » فاحفظ ذلك ابا جعفر واشتد عليه وكان من جملة الاسباب الداعية لقتله كما سيأتي . ولا بد من ان يكون كتب كثيرا عن هؤلاء الامراء الثلاثة ولكن لم يصل الينا شي مما كتبه عنهم على التعيين الا ان هناك رسالة تعرف برسالة الصحابة لا يبعد ان يكون ابن المقفع كتبها عن سليمان بن علي ايام امارته على البصرة

و بعث بها الى المنصور يذكره بأمور تتعلق بأمور الدولة وسياستها
وهي تشابه من بعض الوجوه التقارير التي يرفعها رجال الدولة
اليوم الى الملوك .

ابن المقفع وسفيان بن معاوية

في سنة ١٣٩ عزل المنصور عمه سليمان بن علي عن البصرة
واعمالها وولى مكانه سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن ابي صفرة
وفي نفس المنصور مودة على سليمان الذي حمى اخاه عبدالله
الخارج على الخليفة ولم يسلمه الا بامان تشدد ابن المقفع في
شروطه فاحفظ المنصور وغاظه . ولا مزية في ان المنصور اراد
بتولية سفيان ان يقيم اظفار اعمامه فاستلم عمه عبدالله بن علي وجعله في
حبسه وابقى على سليمان في البصرة . ولكن ابن المقفع لم يملا عينه سفيان
هذا فكان يسخر به ويتأدر عليه ويعرض به ويتال من امه فاذا دخل
عليه قل السلام عليكما يريد سفيان وانفه لانه كان كبيرا لانف
وقال له يوما : ما تقول في شخص خلف زوجا وزوجة ؟ وقال سفيان
يوما ماندمت على سكوت قط ، فقال له ابن المقفع : الخرس زين لك
فكيف ، تدم عليه فكان سفيان يحقد عليه ويقول والله لا قطعنه

اربا اربا وعينه تنظر . وقد بر بقسمه فقتله شر قتلة اختلفت الرواية في شكلها ولم تختلف في فظاعتها فقبل القاء في بئر وردم عليه الحجارة وقيل ادخله حماما واغلق عليه بابه فاخنتق وقيل بل امر به فقطعت اعضاؤه اعضوا عضوا والقيت في التنور وهو ينظر اليها حتى اتى على جميع جسده ثم اطبق عليه التنور وقال ايس علي في هذه المثلة بك حرج لانك زنديق وقد افسدت الناس وكان ذلك سنة ١٤٢ وعمر ابن المقفع يومئذ ست وثلاثون سنة وخلف ولدا اسمه محمد .

غضب سليمان وعيسى ابنا علي لذلك وخاصما سفيان ابن معاوية الى المنصور واحضراه بين يديه مقيدا وجاء بالشهود الذين رأوا ابن المقفع دخل داره ولم يخرج فادوا الشهادة على ذلك . ولكن المنصور الذي كان يحقد على ابن المقفع شروط ذلك الايمان الذي سبقت الاشارة اليه قال للشهود انا انظر في هذا الامر ثم قال ايضا ارايتم ان قتلت سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت و اشار الى باب خلفه - وخاطبكم ما تروني صانعاكم اأقتلكم بسفيان فرجع الشهود عن الشهادة وعلم سليمان وعيسى انه قتل بعلم المنصور . وهكذا ذهب دم ابن المقفع هدرًا ويرجع

الموءرخون ان المنصور هو الذي امر سفيان بقتله . ويظهر انه اضطهد قبل قتله ، قال ابن قتيبة في عيون الاخبار : كان ابن المقفع محبوبا في خراج كان عليه وكان يعذب فلما طال ذلك وخشي على نفسه تعين من صاحب العذاب مائة الف درهم فكان بعد ذلك يرفق به ابقاء على ماله .

عليه وادبه

جمع ابن المقفع بين ثقافتي العرب والفرس واذا قلنا ثقافة الفرس ضمنا اليها حكمة الهنود وفلسفة اليونان لان الفرس ترجموا كتب الهند واليونان لاسيا والاسكندر فتح بلاد فارس فشاعت بها الفلسفة اليونانية وابن المقفع ترجم عن الفارسية كتباً من وضع الهند واليونان منها ادبي ومنها فلسفي مثل كتب المنطق وذلك لا يكفي للقيام به معرفة اللغة المترجم عنها فقط بل يقتضي اتقان علم المنطق والتبصر به قال القفطي في اخبار الحكماء : ابن المقفع اول من اعتنى في الملة الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية لابي جعفر المنصور . فهو في هذا العلم معدود من الاوائل وله فضيلة السبق في نقله الى العربية . وكذلك فان بعض المستشرقين يظن

ان ابن المقفع هو الذي شرع طريقة تدوين التاريخ في اللغة العربية لانه ترجم كتاب خداينامه « سير ملوك العجم » فكان مثالا للعرب في كتابة التاريخ .

اما بلاغته فانه احد بلغاء الناس العشرة بل هو معدود في طليعتهم وهاك اسماهم كما رتبها ابن النديم :

عبد الله بن المقفع ، عمارة بن حمزة ، حجر بن محمد ، محمد ابن حجر ، انس بن ابي شيخ ، سالم ، مسعدة ، الهرير ، عبد الجبار ابن عدي ، احمد بن يوسف .

وسواء اكان بلغاء الناس عشرة ام اكثر ام اقل فابن المقفع في السابقين منهم وقل منهم من اجتمع له من ادوات النبوغ كما اجتمع لابن المقفع : علم واسع وعقل راجع وذكاء حاد وطبع فياض ولغة شريفة وقد قيل لم يكن للعرب بعد الصحابة اذكي من الخليل ابن احمد ولا كان في العجم اذكي من ابن المقفع . ولقد كان الخليل يحب ان يجتمع بابن المقفع فجمع بينهما عباد بن عباد المهدي فكثا ثلاثة ايام واياليهن يتحادثان فلما افترقا سئل الخليل عن ابن المقفع فقال : ماشئت من علم وادب الا ان علمه اكثر من عقله . وسئل ابن المقفع عن الخليل فقال : ماشئت من علم وادب الا ان عقله

أكثر من علمه .

وأية شهادة أعظم خطرا من شهادة الخليل بن أحمد سيد
الأدباء وأعظمهم اختراعا وتوليدا في الوضع والتأليف على أن البقية
الباقية من كتب ابن المقفع خير دليل على ذلك الأدب الغض
والعقل الحكيم .

والجاحظ يعترف لابن المقفع في البلاغة وفنونها ولكنه
ينكر عليه معرفته في علم الكلام قال : « ومن المعلمين ثم البلغاء
التأدين عبد الله بن المقفع كان مقدما في بلاغة المسان والقلم
والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير وكان إذا شاء أن يقول
الشعر قاله وكان يتعاطى الكلام ولا يحسن منه لا قليلا ولا كثيرا
وكان ضا بطلا لحكايات المقالات ولا يعرف من أين غر المغتر
ووثق الواثق وإذا أردت أن تعتبر ذلك أـ كنت من خلص
المتكلمين والنظارين فاعتبر ذلك بأن تنظر في آخر رسالته الهاشمية
فإنك تجده جيد الحكاية لدعوى القوم ردي المدخل في مواضع
الطعن عليهم وقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من
العلم فيظن بنفسه عند ذلك أنه لا يحمل عقابه على شيء إلا
بعد به »

قد يكون الجاحظ مصيبا في حكمه لان علم الكلام كما يريد
الجاحظ لم يكن اثر في زمن ابن المقفع كما ان ابن المقفع نفسه لم
يكن عالما مختصا بالكلام يناظر الناس في عقائدهم ومذاهبهم
ولكن الجاحظ مع ذلك اثبت له « جودة الحكاية للدعوى » وذلك
اقصى ما يطلب من الناقل والمترجم وابن المقفع مترجم في الفلسفة لا
واضع على ان له اراء حكيمة في الدين والحياة والاخلاق تعد مثلا على في
السمو ولكن ليست على طريقة المتكلمين والمناظرين سيأتي الكلام
عليها في غير هذا المكان .

تراء ابن المقفع ثروة عظيمة للادب العربي وامثلة رفيعة
يطبع على غرارها بلغاء هذه الامة فترجم والى مقدار غير قليل
من الكتب عدا الرسائل التي كان يكتبها للامراء وهو لم يعيش
اكثر من ست وثلاثين سنة فلو عمر اطول من ذلك ارفد ادبنا
باضعاف ما رقد والله ما اصدق قوله :

ويقتلني فيقتل بي كرما يموت بموته بشر كثير

ولقائل ان يقول ما بال الناس يغفلون في رفع منزلة ابن
المقفع واكثر تأليفه مترجمة عن الفارسية ليس له منها الا الصوغ
والرصف ، ؟ وقد فاته ان الترجمة في كثير من الاحيان اشق من

التأليف والمجودون بها قليل جدا والكتب التي تترجم في عصرنا الحاضر اوضح دليل ، فما كان علميا منها يتعثر بالعجمة من حيث المصطلحات ، وما كان ادبيا منها لم تأنس به نفوس القراء لبعده عن اساليب العربية اللهم الا النثر اليسير . فاذا قارنت هذه التراجم بترجمة ابن المقفع ظهر لك تفوقه ونبوغه على ان له من بنات افكاره ما يستهوئ العقول ويسحر الالباب حتى زعم بعضهم انه عارض القرآن في كتاب الدرة اليتيمة . هذا فضلا عن ان عصر ابن المقفع كان عصر ترجمة في اكثر العلوم .

صفته و اخلاقه

اذا صح ان اسلوب الكاتب مرآة اخلاقه وطبعه فلا شك ان ابن المقفع كان حسن الخلق سهل الطبع كريم السجية حلو المعاشرة وافر المروءة وقد وصفه الجاحظ بكونه جوادا فارسا جميلا وما اظن ادبيا عمل بما كان يقول كابن المقفع قال : « ابذل لصديقك دمك ومالك ولعرفتك رفدك ومحضرك وللعامه بشرك وتحتك ولعدوك عدلك وضمن بدينك وعرضك عن كل احد » ولقد بذل هو دمه وماله في سبيل المروءة والكرم والصدقة

واي ايشار ابلغ من ايشاره لعبد الحميد بن يحيى كاتب بني امية؟ فقد
صح ان عبد الحميد لجأ الى ابن المقفع بالبحرين بعد مقتل مروان
ابن محمد ففاجأه الطلب وهو في بيته فقال الذين دخلوا عليهما ايكما
عبد الحميد فقال كل منهما انا مخافة على صاحبه واوشك الجند ان
يقتلوا ابن المقفع لولا ان صاح بهم عبد الحميد قائلاً ترفقوا بنا فان
لكل منا علامات فوكلوا بنا بعضكم وليمض البعض الآخر الى
من وجهكم فيذكر له تلك العلامات ففعلوا واخذ عبد الحميد
فقتل سنة ١٣٢ .

وقال ابن قتيبة في عيون الاخبار : بلغ ابن المقفع ان جارا له
يبيع دارا له لدين ركه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت
اذا بجرمة ظل داره ان باعها معدما وبت واجدا فحمل اليه ثمن
الدار وقال لا تبع .

لم يشهر ابن المقفع بالنجون والخلاعة ولكنه كان يصحب من
عرفوا بذلك قال صاحب الاغاني : كان مطيع بن اياس ويحيى
ابن زياد الحارثي وابن المقفع ووالبة بن الحباب يتنادمون ولا
يفترقون ولا يستأثر احدهم على صاحبه بمال ولا ملك وكانوا جميعا
يرمون بالزندقة . وهوؤلاء الذين صحبهم كانوا معروفين ايضا

بالخلاعة ولكنه هو كان الى العشمة والتصون اميل .

وروى صاحب الاغانى ايضا ان معن بن زائدة وروح ابن حاتم وابن المقفع اجتمعوا يوما عند ابن رامين فلما غنتهم جاريته الزرقاء بعث معن اليها بكرة فصبت بين يديها وكذلك فعل روح اما ابن المقفع فبعث فجاء بصك خبيته وقال : هذه عهدة ضيعتي خديها فاما الدراهم فما عندي منها شيء .

وهكذا كان الغناء يبعث صبوته ويهز اريحته . وله في الفكاهة جواب يدل على انه نال حظا منها قال الجاحظ في كتاب البخلاء : روى اصحابنا عن عبد الله بن المقفع قال كان ابن جدام الشبي يجلس الى وكان ربما اصرف معي الى المنزل فيتغدى معنا ويقوم الى ان يبرد وكنت اعرفه بشدة البخل وكثرة المال فالح علي في الاستزارة وصممت عليه في الامتناع فقال جعلت فداك انت تظن اني ممن يتكلف وانت تشفق علي لا والله انت هي الا كسبرات يابسة ومالح وماء الحب فظننت انه يريد اختلافي بتهوين الامر عليه وقالت ان هذا كقول الرجل يا غلام اطعنا كسرة واطعم السائل خمس تمرات ومعناه اضعاف ما وقع اللفظ عليه وما اظن انت احدا تدعو مثلي الى الحرمة من الباطنية ثم يأتيه

بكسرات وملح فلما صرت عنده وقربه الى (١) اذ وقف سائل
بالباب فقال اطعمونا مما تأكلون اطعمكم الله من طعام الجنة قال
بورك فيك فاعاد الكلام فاعاد عليه مثل ذلك القول فاعاد عليه
السائل فقال اذهب ويلك فقد ردوا عليك فقال السائل سبحان
الله مارأيت كاليوم احدا يد من لقمة والطعام بين يديه قال اذهب
ويلك والا خرجت اليك والله فدقت ساقيك قال السائل
سبحان الله ينهى الله ان ينهر السائل وانت تدق ساقيه فقلت
للسائل اذهب وارح نفسك فانك لو تعرف من صدق وعيده مثل
الذي اعرف من صدق وعده لما وقفت طرفة عين بعد رده اياك .
هذا وفي انصرافه الى المواضع الاخلاقية في اكثر ما الف
وترجم وحشه على الوفاء والصدق والمروءة والايتار والشجاعة
والتقوى وترك الكذب والحسد وتقييع الجبن والبخل دليل على
كرم اخلاقه وشرف نفسه . ولقد رفع من قدر الكتابة بمقدار
ما عرض الشعراء في زمانه من قدر الشعر حين اسرفوا في المدح
والقبح فابن المقفع يمثل الاديب الشريف .
(١١) وفي المحاسن والآضداد للجاحظ ايضا : لم آجد في بيته الاكسرا
ياسة وملح جر يش .

حكمة واراؤه

جمع ابن المقفع بين عقل الحكيم وتفكيره وطبع الاديب وذوقه فليست حكمته حقائق عارية وليس ادبه من هواجس النفس ونزغات الاهواء . واذا حاولنا عزل حكمته عن عاطفته وجدناها حكمة مشرقية واعني بذلك انها غير مادية بل هي في كثير من نواحيها روحية مبنية على الرحمة وحب الخير وبث الفضيلة ومساعدة الناس . فالحقيقة عنده مرغوب فيها ما نفعت او ما كان نفعها اكثر من ضررها فاذا كان تمحيصها يوءدي الى تعاسة او بؤس فالافضل ان يغفل امرها او يحول ضررها الى منفعة . وهذا النوع من حكمة المتفائلين اقرب الى علم تهذيب الاخلاق منه الى الفلسفة الخالصة .

ولكنه مع ذلك لا يقنع بهذا القدر الحكيم من حب الخير فبين جنبه نفس اديب تأبى عليه الرضى بذلك المقدار وتكلفه المبالغة والغلو فيضيف الى حكمته الايثار والمروءة والشجاعة والارامية والنبيل والتشرف والشهامة فهو يستحسن الغنى اذا كان مقرونا بالجود والعدل مضافا الى الرحمة والعقل اذا كان مع الورع

والقوة مع العفو والشرف مع التواضع واللذة مع التصوف
والصدقة مع الايثار وقد مر بك خبر عبد الحميد الكاتب لما
التجأ اليه وخبر جاره الذي اراد ان يبيع داره .
ترجع حكمة ابن المقفع الى مصادر شتى فالاقدام والشجاعة
والحمية والائفة والكرم والايثار عربي ، وحب الخير وتعظيم امر
الدين والمساواة والتقوى والاهتمام بامور الآخرة اسلامي ، وما
سوى ذلك كالرضى والقناعة وسعة الصدر والاخذ بالحزم والتدبير
في شؤونهن الفرد والجماعة وعبادة الجمال هندي وفارسي ويوناني .
على تلك الاصول تعتمد حكمته وعنما نتفرع آراؤه في
الدين والحكومة والاخلاق وحياة الفرد والجماعة . اما الدين فانه يعظم
من شأنه كثيرا ويعتده اعظم نعمة انعم الله بها على عباده ويرى
الوقوف عند حدوده . واما الحكومة فيجب ان تقوم على العدل
فتجزى المحسن باحسانه وتجازي المسيء باساءته ولا فضل لاحد
على احد عندها الا بالطاعة والاخلاص . واما رأس الحكومة
فمقدس وواجب الاطاعة والمداراة ولا تصلح الناس الا به اذا كان
عادلا وما اجل خطر الملك عند ابن المقفع في امور الدين والدنيا
فبصلاحه صلاح الرعية وبفساده فسادها وحقه على الناس اعظم

من حق الناس عليه وذلك رأي فارسي لان الفرس كانوا يعتقدون ان الا كاسرة يستمدون سلطتهم من الله . وقد شغل السلطان جزءاً كبيراً من حكمة ابن المقفع من ذلك قوله : « الناس على دين السلطان الا القليل فليكن للبر والمروءة عنده نفاق فسيكسد بذلك الفجور والدناءة في آفاق الارض »

وقوله : « لا تكونن صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك ومواقفتهم فيما خالفك وتقدير الامور على اهوائهم دون هواك فان كنت حافظاً اذا ولوك حذراً اذا قربوك اميناً اذا ائتمنوك تعلمهم وكأنت تعلم منهم وتوهمهم وكأنت تتأدب بهم وتشكر لهم ولا تكلفهم الشكر ذليلاً اذا صرموك راضياً ان اسخطوك ، والا فالبعد منهم كل البعد والحذر منهم كل الحذر . وان وجدت عن السلطان وصحته غنى فاستغن به فانه من يخدم السلطان بحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة »

وقوله وهو غاية في طاعة السلطان ومداراته : « جانب المسخوط عليه والظنين عند السلطان ولا يجمعنك واياه مجلس

ولا منزل ولا تظهرن له عذرا ولا تشن عليه عند احد «
واين المتفجع يحب الشجاعة والكرم ويكره الجبن والحرص
قال : « الجبن مقتلة والحرص محرمة فانظر فيما رأيت وسمعت من
قتل في الحرب مقبلا اكثر ام من قتل مدبرا ؟ وانظر من يطلب
اليك بالاجمال والتكرم احق ان تسخو نفسك له بالعطية ام من
يطلب اليك بالشره والحرص ؟ »

وهو يبغض الحسد ويراه من اكبر النقم على صاحبه حتى
يرثي لمن ابتلي به قال : « اقل ما تارك الحسد في تركه ان
يصرف عن نفسه عذابا ليس بمدرك به حظا ولا غائظ به عدوا
فانا لم نر ظالما اشبه بمظلوم من الحاسد طول اسف ومخالفة كآبة
وشدة تحرق ولا يبرح زاريا على نعمة الله ولا يجد لها مزايا ويكدر
على نفسه ما به من النعمة فلا يجد لها طعما ولا يزال ساخطا
على من لا يتراضاه ومتسخطا لما ان ينال فوقه فهو منغص المعيشة دائم
السخط محروم الطلبة لا بما قسم له يقنع ولا على ما لم يقسم له يغلب
والمحسود يتقلب في فضل الله مباشرة للسرور منتفعا به ممهلا فيه
الى مدة ولا يقدر الناس لها على قطع وانتقاص »

وكذلك فانه ينهى عن الكذب ولو بالهزل قال : « لا

تهاونن بارشال الكذبة في الهزل فانها تسرع في ابطال الحق «
والبخل عنده من اسوأ الاخلاق قال : « الحرص والحسد
بكر الذنوب واصل المهالك اما الحسد فاهلك ابليس واما
الحرص فاخرج آدم من الجنة »

وحب المدح والتقريظ معدود عنده من ضعف الرجل قال :
« اياك اذا كنت واليا ان يكون من شأنك حب المدح والتزكية
وان يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلثة من الثلم يقتحمون
عليك منها و بابا بفتتحونك منه وغيبة يغتابونك بها ويضحكون
منك لها واعلم ان قابل المدح كمدح نفسه والمرء جدير ان يكون
حبه المدح هو الذي يحمله على رده فان الراد له ممدوح والقابل
له مغيب »

والثناء والا كرام لسلطان او مال جدير ان بالرد والامتهان
قال : « اذا اكرمك الناس لمال او سلطان فلا يعجبك ذلك فان
زوال الكرامة بزوالها ولكن يعجبك ان اكرموك لدين
او ادب »

وهو ينفر من الدين ويراه عنوان الذل قال : « الدين رق
فانظر عند من تضع نفسك »

اما رأيه في النساء فمن اسوأ الاراء قال : « اياك ومشاورة
النساء فان رأين الى افن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من
ابصارهن بحجابك اياهن فان شدة الحجاب خير لك من الارتياح
وليس خروجهن باشد من دخول من لا تثق به عليهن فان استطعت ان
لا يعرفن عليك فافعل ولا تملكن امرأة من الامر ما جاوز نفسها
فان ذلك انعم لحالها وارخى لبالحا وادوم لجمالها وانما المرأة ربحانة وليست
بقهرمانه فلا تعد بكرامتها نفسها ولا تعطها ان تشفع عندك لغيرها
ولا تطل الخلوة مع النساء فيملنك وتملن واستبق من نفسك بقية
فان امساكك عنهن وهن يردنك باقتدار خير من ان يهجمن
عليك على انكسار واياك والتغاير في غير موضع غيره فان ذلك يدعو
الصحيحة منهن الى السقم »

وفي رأيه ان اللذة في الحياة اخت التدبير والتقوى اذا كانت
حلالاً قال : « على العاقل ان لا يكون راغبا الا في احدى ثلاث :
تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم »

وقال : « لا عقل لمن اغفله عن آخرته ما يجد من لذة دنياه

وليس من العقل ان يجرمه حظه من الدنيا بصره بزوالها »

وهناك امور اخرى تتفرع عن هذه الاصول تعمل كلها

على تهذيب الاخلاق ورياضة النفس على المكارم ستطلع على
كثير منها في الفصل الذي سيعقد للمختار من كلامه .

رميه بالزندقة

ما من احد ترجم لابن المقفع او اشار اليه الا روى انه كان
يرمى بالزندقة حتى ان بعض مترجميه كعبد القادر البغدادي
صاحب خزائن الادب عرفه بالزنديق وابن خلكان ذكره بمناسبة
زندقة الحلّاج . وقد زعم الناقلون انه كان مناققا في اسلامه لم
يسلم الا ابتغاء عرض الدنيا وانه كان يضمّر الجوسية والتمسوا
للمنصور وسفيان بن معاوية عذرا في قتله لانه افسد على الناس
دينهم وجحّتهم في ذلك ما روي عنه من انه مر بيت نار الجوس
بعد ان اسلم فتمثل بقول الاحوص :

يا بيت عاتكة الذي اتعزل

حذر العدا وبه الفوءاد موكل

اني لامنحك الصدود واني

قسما اليك مع الصدود لامل

وانه قال في رثاء يحيى بن زياد :

لقد جر نفعا فقدنا لك اننا

امنا على كل الرزايا من الجزع

فعرنا ذلك الى مذهب الزنادقة في ان الخير ممزوج بالشر

والشر ممزوج بالخير لان مبدأ العالم على قول ماني كونان احدهما

نور والاخر ظلمة . وانه بداله ان يعارض القرآن فالف الدرة

اليتيمة ، وانه كان يصحب المتهمين في دينهم كمطيع بن اياس ويحيى

ابن زياد ووالبة بن الحباب . وان المهدي قال : ما وجدت كتاب

زندقة قط الا اصله ابن المقفع .

وكل ذلك ادلة لا يقام لها وزن في تكفير المؤمن واخراجه

من ربة الاسلام . نعم ليس من المعقول ان يتفق المترجمون على

زندقة ابن المقفع من غير سبب معقول ولكن ذلك السبب خفي

علي فلم اتبينه . قد يقال ان ابن المقفع ولد على المجوسية وشب

عليها وانه قضى من عمره فيها اكثر مما قضى في الاسلام واب

المتحول من دين الى آخر قد تعاوده عقيدته الاولى من غير قصد

كما حدث لابن المقفع لما اخبر عيسى بن علي بعزمه على الاسلام

فاستمله عيسى الى الغد ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم

فجعل يأكل ويزمزم على عادة المجوس فلما استعظم عيسى ذلك

منه اعتذر اعتذار فطن لبق فقال كرهت ان ابيت على غير دين -
ولكن كل ذلك اسباب واهية وفرضيات لا يابها الاسلام لها .

ارجع اذا شئت الى ما وصل اليها من كلام ابن المقفع وامنحه
فرط تدبر واعره فضل تفهم واقراً ما بين السطور كما يقولون
فانك لن تجد فيه جملة تنز الى المجوسية بعرق او تضرب من
الزندقة على وتر فما ادري بعد ذلك من اين استدل الناس على
زندقته وكيدته للاسلام فان كان من كلامه فليس هنالك مغز
الا ذلك التأويل البعيد الذي اولوا به قوله :

لقد جرنفعا فقدنا لك اثنا امنا على كل الرزايا من الجزع
وهو معنى عربي شائع لا يمت الامذاهب الفرس بسبب ومله قول اعراية :

فاما وقد اصبحت في قبضة الردى

فشأن المنايا فلتصب من بدالها

وقول ابي نواس :

وكنت عليه احذر الموت وحده

فلم يبق لي شيء عليه احاذر

وان كان استدلالهم على زندقته بافعاله فلم يرشدونا الى شيء .

مقنع منها . والايان كما لا يخفى امر وجداني لا يمكن لاحد ان يحكم

عليه بطريق الحدث والتخمين .

إذا قصدوا بالزندقة جحد أركان الإسلام ومخالفة أحكامه والطعن عليه والكيد له فإن المقفع لم يثبت عليه شيء من ذلك وإن أرادوا بها التهاون بالفرائض وصحبة المتهمين في دينهم والتفكير الحر فقد يكون ابن المقفع زنديقا .

لا أنكر أن الفرس أدخلوا شبهات كثيرة على الإسلام وإن بعضهم دعا إلى مقالات تخالفه وإن بعض آراء الماتوية استهوت بعض الناس ولكن الباحث لا يقدر أن يثبت بالبرهان شيئا من ذلك على ابن المقفع .

كتبه

الف ابن المقفع وترجم عددا صالحا من الكتب مع أنه قتل في مستقبل العمر والذي بقي من آثاره لا يزال درة في تاج الأدب العربي فمنها:

١- كتاب كلیلة ودمنة: وهو أحد الكتب الخالدة المجمع على جودتها والذي استساغته أذواق أكثر الأمم فنقلته إلى لغاتها وكان أصلا في الأدب المروي عن السنة الحيوانات عند جميع الأمم والكتاب يرمي إلى تهذيب الأخلاق وإصلاح النفوس وضعه باللغة السنسكريتية فيلسوف هندي اسمه يدبا للملك دبشليم الذي

يقال انه تولى بعد فتح الاسكندر ، وجعل مواعظه ونصائحه
جارية على السن البهائم والطيور لاعتقاد البراهمة تناسخ الارواح
على رأي المرحوم جرجي زيدان .

وابواب الكتاب الهندية اثنا عشر وهي : باب الاسد والثور ،
باب الحمامة المطوقة ، باب البوم والغريبان ، باب القرد والغليم ،
باب الناسك وابن عرس ، باب الجرذ والسنور ، باب الملك
والطائر فتره ، باب الاسد وابن آوى والناسك ، باب اللبوءة
والاسوار والشعر ، باب ايلاذ وبلاذ وايرخت ، باب السائح
والصائع ، باب ابن الملك واصحابه .

ونقل عن اللغة السنسكريتية الى لغة التيببت كما انه جلب الى
بلاد فارس في القرن السادس للميلاد ونقله عن السنسكريتية الى
الفهلوية اي الفارسية القديمة برزويه بن ازهر بامر كسرى
انوشروان وزيد في الترجمة الفهلوية ثلاثة ابواب هي : مقدمة
برزويه ، وباب بعثة برزويه ، وباب ملك الجرذان .

وعن الفهلوية كانت الترجمة السريانية الاولى حوالي سنة
٥٧٠ للميلاد . وعن الفهلوية ايضا نقله ابن المقفع وزاد فيه ستة
ابواب هي : مقدمة الكتاب على لسان بهنود بن سحوان المعروف

يعلي ابن الشاه الفارسي ، وباب عرض الكتاب لابن المقفع ،
وباب الفحص عن امر دمنة ، وباب الناسك والضيف ، وباب
مالك الحزين والبطّة ، وباب الحمامة والشعلب ومالك الحزين .
ثم فقد الاصل الهندي والفهلوي ولم يبق من التراجم الاولى
غير الترجمة العربية لابن المقفع وعنها نقلته الامم الى لغاتهم . وهذه
التراجم التي ترجع كلها الى ترجمة ابن المقفع : السريانية - مرة
ثانية - واليونانية والفارسية والعبرية والسلاطينة والاسبانية
والطليانية والروسية والتركية والالمانية والانكليزية والدانيمركية
والهولندية والافرنسية .

وقد اقبل عليه العرب فنظمه بعض الشعراء شعرا اولهم ابو
سهل الفضل بن نوبخت الفارسي من خدم المنصور وابنه المهدي ،
وابان بن عبد الحميد الاحقي نظمته باشارة البرامكة واوله :
هذا كتاب ادب ومحنة

وهو الذي يدعى كليله ودمنه

فيه احتمالات وفيه رشد

وهو كتاب وضعته الهند

ونظمه علي بن داود كاتب زيدة زوج الرشيد ، ونظمه

بشر بن المعتد وكل هذه المنظومات فقدت .
ونظمه ايضا ابن الهبارية المتوفي سنة ٥٠٤ وسماه « نتائج
الفطنة في نظم كلية ودمنة » وهو مطبوع .
ثم نظمه ابن ممتي المصري المتوفي سنة ٦٠٦ كما نظم اقساماً
منه عبد المؤمن بن الحسن من اهل القرن السابع وكذلك نظمته
جلال الدين النقاش من اهل القرن التاسع وكل ذلك غير مطبوع
ونقل كتاب كلية ودمنة ايضا عبد الله بن هلال الاهوازي
نقله ليحيى بن خالد بن برمك في خلافة المهدي، وعارضه سهل
ابن هرون احد كتاب المأمون بكتاب اسمه ثعلب وعفراء وكلاهما
غير موجود .

ومن هنا يظهر لك مبلغ خطر هذا الكتاب والضجة التي
قامت حوله والاثار الذي اثاره في الادب .

٢ - كتاب الادب الصغير : في الادب والحكمة والمواعظ
اول من عثر عليه الشيخ طاهر الجزائري وجده ضمن مجموعة في بعلبك
فنشره في مجلة المقتبس ثم نشر مع رسائل البلغاء ثم طبع على حدة
بتصحيح احمد زكي باشا والكتاب لطيف الحجم رائع الاسلوب
واضح المعاني وليس كل ما فيه من الحكم من نتاج ابن المقفع لانه

يقول فيه « وقد صنعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفا فيها عون على عمارة القلوب وصقلها وتجلية ابصارها واحياء للتفكير . . . الخ » ولكن له الفضل في سبكها وصوغها وابرازها بذلك المظهر الفتان .

٣ - كتاب الادب الكبير : في الاخلاق والنصائح والآداب والحكم ويمكن تقسيمه من حيث الموضوع الى قسمين الاول في الساطان والثاني في الصديق وهو شبيه بالادب الصغير في غايته ولكن بعض فصوله اطول وقد طبع بعنوان (الدرة اليتيمة) ويغلب على الظن انه غيرها ولغة ابن المقفع في الادبين اجزل منها في كلية ودمنة .

٤ - كتاب الدرة اليتيمة : قال الاصمعي صنف ابن المقفع كثيرا من المصنفات الحسان منها الدرة اليتيمة التي لم يصنف في فيها مثلها . وقد ضرب ابو تمام الطائي المثل في بلاغتها بقوله للحسن بن وهب :

لقد شهدتك والكلام لآلي

توأم فبكر في الكلام وثيب

فكأن قسا في عكاظ يخطب

وكان ليلى الاخيلية تنذب

وكثير عزة يوم بين ينسب

وان المقفع في اليتيمة يسهب

وقد زعموا انه عارض بها القرآن ولكن الباقلاني يقول ان

كتاب اليتيمة منسوخ من كتاب بزرجمهر في الحكمة . والدره

اليتيمة لا تزال مكنونة لا يعرف محلها .

٥ - فقر في الحكم ورسائل متفرقة وتحميدات لابن المقفع

موجودة في رسائل البلغاء .

٦ - كتاب خدائنامه في السير « سير ملوك العجم » نقله

ابن المقفع عن الفارسية يقول عنه المستشرق الانكليزي الاستاذ

براون في تاريخ آداب الفرس انه اجل خطرا من كتاب كايلاه

ودمنة . ويظن المستشرق الانكليزي الاستاذ نيكلسون في كتابه

تاريخ آداب العرب ان هذا الكتاب كان مثالا للعرب في تدوين

التاريخ . وهو مفقود .

٧ - كتاب التاج في سيرة انوشروان نقله عن الفارسية

وهو مفقود .

٨ - كتاب مزدك : نقله ابن المقفع عن الفارسية ونقله ايضا

ابان بن عبد الحميد اللاحقي الذي نظم كتاب كلية ودمنه .
اول ما يتبادر الى الذهن ان هذا الكتاب يبحث عن مذهب
مزدك ولكن الاستاذ براون ذكر في كتابة تاريخ آداب الفرس
نقلا عن نولدكي انه كتاب ادب وضع للتسلية ويعتبر بمصاف
كليله ودمنه ولا تضر قراءته مسلما والكتاب مفقود .

٩ - كتاب آيين نامه نقله عن الفارسية وهو غير موجود .

اما كتب المنطق اليونانية التي ترجمها عن الفارسية فهي :

١٠ - كتاب قاطيغوريان ومعناه المقولات لارسطو قال

ابن النديم : ولهذا الكتاب مختصرات وجوامع مشجرة وغير
مشجرة لجماعة منهم ابن المقفع . فيظهر من ذلك انه لم يترجمه
ترجمة حرفية بل تصرف به بالاختصار والتلخيص .

١١ - كتاب بارمينياس ومعناه العبارة لارسطو ايضا قال

ابن النديم ان ترجمة ابن المقفع من المختصرات .

١٢ - كتاب انا لوطيقا .

١٣ - المدخل الى كتب المنطق المعروف بايساغوجي

فرفوريوس الصوري . قال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء :
وعبارته في الترجمة سهلة قريبة المأخذ . وكل هذه الكتب مفقود .

وكتب المنطق هذه نقلها ابن المقفع عن الفارسية ولم ينقلها
عن اليونانية .

أسلوبه وخصائصه

ابن المقفع هو امام الطبقة الاولى من كتاب العصر العباسي
وصاحب الطريقة التي آخت بين التفكير الفارسي والبلاغة
العربية . وهو كانت حكيم تغلب عليه الحكمة في كل شيء
وكل ما وصل اليه من اثاره لا يخرج عن المواضيع الحكيمة
فكيلة ودمنة والادبان الكبير والصغير كتب ترمي الى تهذيب
الاخلاق واصلاح النفوس وكذلك قل عن اكثر كتبه التي لم
تصل اليه . ولقد كان القفطي موقفا لما عده من الحكماء .

لم يكن ابن المقفع حكيما في اغراضه ومعانيه فقط بل هو
حكيم في الفاظه وتراكيبه كما سترى عند الكلام على
صناعته اللفظية .

تظهر مزية ابن المقفع في ترتيب افكاره وحسن تقسيمها
ولعل ذلك نتيجة دراسته للحكمة الفارسية والفلسفة الهندية
واليونانية مع صحة طبعه . فانت لاتجد في حكمه ذلك التفكك

وتلك الوثبات التي تجدها في حكم الجاهليين ومواعظهم . على
انه كان مقتصدا في ترتيب تلك الافكار فلم يغرق في ربط
المناسبات بحيث اذا شرعت في موضوع لا تدري كيف تنتهي منه كما
يفعل بعض علماء الاخلاق .

ما رزقت العربية كاتبا حبيب الحكمة الى النفوس كابن
المقفع فانه يعمد الى الحكمة العالية فلا يزال يروضها بعذوبة الفاظه
ويستنزها بسلاسة تراكيبه حتى يبرزها الى الناس سهلة المأخذ
بأدبة الصفحة فهو من هذه الجهة اكتب الحكماء واحكم الكتاب .
قل ان تجد كاتبا لا يستعين في انشائه بالمبالغة والغلو وسحر
الالفاظ ورنينه بل ربما كانت ذلك من اقوى العناصر في فن
الكاتب الا ان ابن المقفع فانه واجه الحقائق وحدث عنها حديثا
صادقا لا تزيد فيه وكان مع ذلك من ابلغ المنشئين .

ابن المقفع كاتب لا تستهلك معانيه الفاظه ولا تغتال الفاظه
معانيه فليس هناك لف ولا دوران ولا ترادف ولا اسجاع بل تراه
يقدر اللفظ على المعنى تقديرا يدل على براعة فائقة وذوق حسن
وطبع صحيح مع الفاظ متخيرته قال الراغب الاصبهاني : كان ابن
المقفع كثيرا ما يقف اذا كتب فليل له في ذلك فقال : ان

الكلام يزدحم في صدري فاقف لتخيره .

اظهر ما في اسلوبه السهولة والوضوح والجري مع الطبع وعدم التعقيد والانحراب ولقد عرف البلاغة تعريفا بارعا بقوله: « البلاغة هي التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها » وقال لبعض الكتاب : « اياك والتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر » . ولكنه كما كان يتجنب التعمق فقد كان يكره الاسفاف والتبذل قال يوصي كاتباً : « عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لالفاظ السفلة »

ومن خصائصه وضع الشيء في محله وايفاء الموضوع حقه مع نفوذ بصر وسمو ادراك روى الجاحظ في البيان والتبيين عن اسحق بن حسان بن فوهة انه قال : لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع احد قط ، سئل ما البلاغة ؟ فقال : « البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الاشارة ومنها ما يكون في الحديث ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون ابتداءً ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعا وخطبا ومنها ما يكون رسائل فعامية ما يكون من هذه الابواب الوحي

فيها والاشارة الى المعنى . والايجاز هو البلاغة .

فاما الخطب بين السباطين وفي اصلاح ذات البين فالأكثر
في غير خطل والاطالة في غير املال قال وليكن في صدر كلامك
دليل على حاجتك كما ان خير ايات الشعر البيت الذي اذا سمعت
صدره عرفت قافيته . قليل له فان مل المستمع الاطالة التي
ذكرت انها حق ذلك الموقف ، قال اذا اعطيت كل مقام حقه وقت
بالذي يجب من سياسة ذلك المقام وارضيت من يعرف حقوق
الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فانهما
لا يرضيهما شيء ، واما الجاهل فلست منه وليس منك ورضى جميع
الناس شيء لا تناله وقد كان يقال رضاء الناس شيء لا ينال .
لا اعرف بليغا كاتباً كان او شاعراً تفهمه العامة وتأنس به
وتكبره الخاصة بل تعجز عن مجاراته الا ابن المقفع .

نعم قد يشابهه ابو العتاهية الشاعر من حيث السهولة وانه
لا يدق عن فهم العامة ولكن شتان ما هما ففي شعراي العتاهية من
المأخذ والمغامز ما يطول استقصاؤه اما ابن المقفع فلم يؤخذ عليه
في كل ما كتب الا حرف واحد . قال المعري في عبث الوليد :
« كان المتقدمون من اهل العلم ينكرون ادخال الالف واللام على

كل وبعض وروي عن الاصمعي انه قال كلاما معناه قرأت آداب
ابن المقفع قلم ار فيها لحنا الا في موضع واحد وهو قوله : العلم اكبر
من ان يحاط به فخذوا البعض »

ادب ابن المقفع وان كان عريبا مينا في الالفاظ والتراكيب
فانه اعجمي في الجمع والتأليف فهو لا يكاد يستشهد بشعر العرب
ولا يتمثل بامثالهم ولا يروي حكمهم ومواعظهم ولا يسمي
فصحاءهم لا يشير الى ايامهم كما تجد ذلك في آثار جمهرة كتاب
العرب كالجاحظ واضرابه . فهو من هذه الجهة اما مترجم عن
الفرس او متصرف بالمعاني الشائعة او مستمد من صوب عقله .

يقصد الى المعنى بعناية بالغة فاذا تم له تصويره قدر له من
اللفظ ثوبا ليس بالفضفاض ولا بالضيق مع زهد بالسجع الاما جاء
عفوا من غير عمل . فاسلوبه اسلوب المساواة بين اللفظ والمعنى على
ان في كلامه كثيرا من الایجاز ولكنه غير الایجاز المعجز الذي
اختص به العرب الخالص واستبدت به بلاغة العرب خاصة من
دون جميع اللغات . واكثر ما تجد هذا النوع من الایجاز الحاد
المعجز في القرآن الكريم والحديث الشريف وامثال العرب
وحكمهم وكلام الخلفاء الراشدين وغيرهم من بلغاء العرب

وفصحاء الاعراب .

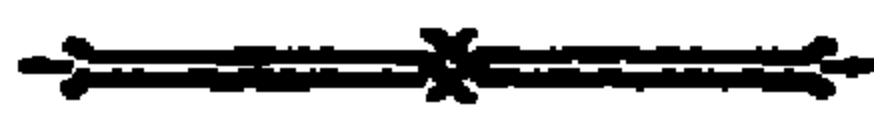
مثال ذلك : « ولكم في القصاص حياة » و « انما الاعمال بالنيات » و « اطلب الموت توهب لك الحياة » و « قيمة كل امري ما يحسن » و « الشجاع موقى » وقول بعض الاعراب :
ما غاض دمي عند نائبة الا جعلتك للبكا سببا

ومثل ذلك كثيرا لا محل لاستقصائه هنا . ولقد روى عن ابن المقفع نفسه انه بدا له ان يعارض القرآن فلما وصل الى قوله تعالى في سورة نوح : « وقيل يا ارض ابلي ماءك وياسماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين » قال هذا مالا يستطيع البشر ان يأتوا بمثله .

ولا يخفى ان الاسهاب والايجاز امران اعتباريان بالنسبة لكل عصر فابن المقفع مسهب بالنسبة لمن تقدمه من البلغاء موجز بالنسبة لمن اتى بعده من الكتاب ولكن ايجازه غير ايجاز العرب الخالص الذي سبقت اليه الاشارة .

وكلام ابن المقفع مع اتساقه وتساوقه وجريه مع الطبع يسهل تارة ويجزل اخرى كقوله وفيه من القوة والمتانة ما فيه : (وقد اصبح الناس الا قليلا ممن عصم الله مدخولين منقوصين فقائلهم

باغ وسامعهم عياب وسائلهم متعنت ومجيبهم متكلف وواعظهم
غير محقق لقوله بالفعل وموعوظهم غير سليم من الهزء والاستخفاف
ومستشيرهم غير موطن نفسه على انفاذ ما يشار به عليه . . . الخ)
اما اثره في الانشاء العربي فعظيم جدا يدلنا على ذلك اقبال
الناس على آثاره بالقراءة والحفظ والنظم والمعارضة منذ القرن الذي
عاش فيه كما مر ذلك عند الكلام على كيلة ودمنة . ولا تزال
آثاره الباقية حتى الآن حية تقرأ وتدرس وتستظهر بشوق ولذة
مع قدم عهدها وستبقى خالدة ما بقيت العربية . ولا يزال اسلوبه
مثالا عاليا في الانشاء يحتذيه كثير من الادباء ويدعوا اليه وهذه
مزية لم تتح لغيره من كتاب العربية واكاد اقول من كتاب
سائر اللغات .



شعره

لابن المقفع شعر قليل وصفوه بالجودة وهو معدود من شعراء
الكتاب المقلين . ولكنه كان لا يرتضي شعر نفسه . قيل له لم
لا تقول الشعر ؟ فقال : الذي ارضاه لا يجيئني والذي يجيئني لا
ارضاه . ولم يبق من شعره الا ابيات قليلة منها ثلاثة ابيات رثي

بها صديقه يحيى بن زياد الحارثي رواها ابو تمام الطائي في
كتاب الحماسة وهي :

رزئنا ابا عمرو ولا حي مثله

فله ريب الحادثات بمن وقع

فان تك قد فارقتنا وتبركتنا

ذوي خلة مافي انسداد لها طمع

فقد جر نفعا فقدنا لك انا

امنا على كل الرزايا من الجزع

وروى له الراغب الاصبهاني في كتابه المفاضرات قوله

في الشراب :

سأشرب ما شربت على طعامي

ثلاثا ثم اتركه صحيحا

فلست بقارف منه اثاما

ولست براكب منه قبيحا

وروى له القاضي عبدالعزيز الجرجاني في كتاب الوساطة

هذا البيت :

ويقتلني فيقتل بي كريما يموت بموته بشر كثير

وجعله مصدرا لقول المتنبي :

غدرت ياموت كم افنيت من عدد

بن اصبث وكم اسكت من لجب

وشعر ابن المقفع كما ترى ينادي على نفسه بانه شعر

كاتب لاشاعر (۰)

نصوص من كلام ابن المقفع

امثلة من الادب الصغير

١

على العاقل - ما لم يكن مغلوبا على نفسه - ان لا يشغله شغل عن اربع ساعات : ساعة يرفع فيها حاجته الى ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يفضي فيها الى اخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه وينصحونه في امره ، وساعة ينجلي فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل ويحرم . فان هذه الساعة عون على الساعات الاخرى وان استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها وفضل بالغة .

٢

وعلى العاقل ان لا يكون راعبا الا في احدى ثلاث : تود لمعاد او مرممة لمعاش او لذة في غير محرم .

٣

احق الناس بالسلطان اهل المعرفة واحقهم بالتدبير العلماء واحقهم بالفضل اعدوهم على الناس بفضله واحقهم بالعلم احسنهم تأديبا واحقهم بالغنى اهل الجود واقربهم الى الله انفذهم في الحق

علما واكملهم به عملا واحكمهم ابعدهم من الشك في الله واصوبهم رجاء اوثقهم بالله واشدهم انتفاعا بعلمه ابعدهم من الاذى وارضاهم في الناس افشاهم معروفاء واقواهم احسنهم معونة واشجعهم اشداهم على الشيطان وافلجهم بحجة اغلبهم للشهوة والحرص وآخذهم بالرأي اتركهم للهوى واحقهم بالمودة اشداهم لنفسه حبا واجودهم اصوبهم بالعطية موضعاء واطولهم راحة احسنهم للامور احتمالا واقلهم دهشا ارحبهم ذراعا واوسعهم غنى اقنعهم بما اوتى واخفضهم عيشا ابعدهم من الافراط واظهرهم جمالا اظهرهم حصافة وآمنهم في الناس اكلمهم نايبا ومخلبا واثبتهم شهادة عليهم انطقهم عنهم واعدهم فيهم ادومهم مسالة لهم واحقهم بالنعمة اشكرهم لما اوتى منها .



افضل ما يورث الآباء الابناء الثناء الحسن والادب النافع والاخوان الصالحون .



اذا هممت بخير فبادر هوائك لا يغلبك واذا هممت بترفسوف هوائك لعلك تظفر فان ما مضى من الايام والاماعات على ذلك هو الغنى .

٦

لا يمنعك صغر شأن امري . من اجتناء ما رأيت من رأيه
صوابا والاصطفاء لما رأيت من اخلاقه كريما فان اللوءلوة
الفائقة لا تهان لهوان غائصها الذي استخرجها .

٧

اعدل السير ان تقيس الناس بنفسك فلا تأتي اليهم الا
ما ترضى ان يوتي اليك .

٨

ومن احسن ذوي العقول عقلا من احسن تقدير امر معاشه
ومعاده تقديرا لا يفسد عليه واحدا منهما نقادا لا آخر فان اعياء
ذلك رفض الادنى واثّر عليه الاعظم .

٩

وكان يقال الرجال اربعة : اثنان تختبر ماعندهما بالتجربة
واثنان قد كفيت امر تجربتهما .

فاما اللذان تحتاج الى تجربتهما فان احدهما بر كان مع ابرار
والآخر فاجر كان مع فجار فانك لا تدري لعل البر منهما اذا
خالط الفجار ان يتبدل فيصير فاجرا وعلل الفاجر منهما اذا خالط

الابرار ان يتبدل برا فيتبدل البر فاجرا والفاجر برا
واما اللذان قد كفيت تجربتهما وتبين لك ضوء امرهما
فان احدهما فاجر كان في ابرار والآخر بر كان في فجار .

١٠

حق على العاقل ان يتخذ مرآتين فينظر من احدهما في
مساوي نفسه فيتصاغر بها ويصلح ما استطاع منها وينظر في
الآخرى في محاسن الناس فيحليهم بها يأخذ ما استطاع منها .

١١

وكان يقال : عمل الرجل فيما يعلم انه خطأ هوى (والهوى
آفة العفاف) وتركه العمل فيما يعلم انه صواب تهاون
(والتهاون آفة الدين) واقدامه على ما لا يدرى اصواب هو ام
خطأ جماع (والجماح آفة العقل) .

١٢

امور لا تصلح الا بقرائنها : لا ينفع العقل بغير ورع ولا
الحفظ بغير عقل ولا شدة البطش بغير شدة القلب ولا الجمال بغير
حلاوة ولا الحسب بغير ادب ولا السرور بغير امن ولا الغنى بغير
جود ولا المروءة بغير تواضع ولا الخفض بغير كفاية ولا الاجتهاد

بغير توفيق .

١٣

اغتنم من الخير ما تعجلت ومن الالهواء ما سوفت ومن النصب
ما عاد عليك ولا تفرح بالبطالة ولا تجبن عن العمل .

١٤

من استعظم من الدنيا شيئاً فبطر واستصغر من الدنيا شيئاً
فهاون واحتقر من الاثم شيئاً فاجترأ عليه واغتر بعدو وان قل فلم
يحذره فذلك من ضياع العقل .

١٥

ان المستشار وان كان افضل من المستشار رأياً فهو يزداد برأيه
رأياً كما تزداد النار بالودك ضوءاً .

١٦

اربعة اشياء لا يستقل منها قليل النار والمرض والعدو والدين .

١٧

وسمعت العلماء قالوا : لا عقل كالتدبير ولا ورع كال كف ولا
حسب كحسن الخلق ولا غنى كالرضى واحق ما صبر عليه ما لا سبيل
الى تغييره وافضل ابر الرحمة ورأس المودة الاسترسال ورأس

العقل المعرفة بما يكون وما لا يكون وطيب النفس حسن الانصراف
عما لا سبيل اليه وليس من الدنيا سرور يعدل صحبة الاخوان ولا
فيها غم يعدل غم فقد هم .

١٨

لا تعد غنيا من لم يشارك في ماله ولا تعد نعيما ما كان فيه
تنغيص وسوء ثناء ولا تعد الغنى غنا اذا ساق غرما ولا الغرم غرما
اذا ساق غنا ولا تعتد من الحياة ما كان في فراق الاحبة .

١٩

ومن المعونة على تسلية الهموم وسكون النفس لقاء الاخ اخاه
وافضاء كل واحد منها الى صاحبه يشته واذا فرق بين الاليف
واليفه فقد سلب قراره وحرم سروره .

امثلة من الادب الكبير



انما يحمل الرجل على الحلف احدى هذه الخلال : اما مهانة
يجدها في نفسه وضرع وحاجة الى تصديق الناس اياه ، واما عي
بالكلام حتى يجعل الايمان له حشوا ووصلا ، واما تهمة قد عرفها
من الناس لحديثه فهو ينزل نفسه منزلة من لا يقبل منه قوله الا
بعد جهد اليمين واما عث في القول او ارسال اللسان على غير
روية ولا تقدير .



لا تعتذرن الا الى من يجب ان يجد لك عذرا ولا تستعينن
الا بمن يجب ان يظفر لك بحاجتك .



لا تجترئن على خلاف اصحابك عند الوالي ثقة باعترافهم
لك ومعرفتهم بفضل رأيك فانا قد رأينا الناس يعرفون فضل
الرجل وينقادون له ويتعلمون منه وهم اخلياء فاذا حضروا ذا

السلطان لم يرض احد منهم ان يقر له وان يكون له عليه في الرأي
والعلم فضل فاجترأوا عليه بالخلاف والنقض فان ناقضهم كان
كاحدهم وليس بواجد في كل حين سامعا فهما وقاضيا عدلا وان
ترك مناقضتهم صار مغلوب الرأي مردود القول .



ابذل لصديقك دمك ومالك ولمعرفتك رفدك ومحضرك
والعامة بشرك وتمحنتك ولعدوك عدلك واخزن بدينك وعرضك
عن كل احد .



ان آثرت ان تفاخر احدا ممن تستأنس اليه في هو الحديث
فاجعل غاية ذلك الجد ولا تعدون ان تتكلم فيه بما كان هزلا فاذا
بلغ الجد او قارب فده ولا تخلطن بالجد هزلا ولا بالهزل جدا
فانك ان خلطت بالجد هزلا هجته وان خلطت بالهزل جدا
كدرته غير اني قد علمت موطننا واحدا ان قدرت ان تستقبل
فيه الجد بالهزل اصبت الرأي وظهرت على الاقران وذلك ان
يتوردك متورد بالسفه والغضب فتجيبه اجابة الهازل المداعب
برحب من الذراع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق .

٦

ان رأيتك صاحبك مع عدوك فلا يغضبنيك ذلك فانما هو
احد الرجلين ان كان رجلا من اخوان الثقة فانفع موطنه لك
اقربها من عدوك لشريكه عنك وعورة يسترها منك وغائبة
يطلع عليها لك فاما صديقك فما اغناك ان يحضره ذو ثقتك وان
كان رجلا من غير خاصة اخوانك فباي حق تقطعه عن الناس
وتكلفه ان لا يصاحب ولا يجالس الا من تهوى .

٧

واذا رأيت رجلا يحدث حديثا قد علمته او ينخر خبرا
قد سمعته فلا تشاركه فيه ولا تتعقبه عليه حرصا على ان يعلم
الناس انك قد علمته فان في ذلك خفة وشعا وسوء ادب وسخفا .

٨

احفظ قول الحكيم الذي قال : لتكن غايتك فيما بينك
وبين عدوك العدل وفيما بينك وبين صديقك الرضى وذلك ان
العدو خصم تضربه بالحجة وتغلبه بالحكام وان الصديق ليس
بينك وبينه قاض فانما حكمه رضاه .

٩

حبب الى نفسك العلم حتى تألفه وتلزمه ويكون هو لهوك
ولذتك وسلوتك وبلغتك واعلم ان العلم علما علم للمنافع وعلم
لتزكية العقل وافشى العلمين واجداهما ان ينشط له صاحبه من
غير ان يحرض عليه علم المنافع وللعلم الذي هو ذكاء العقول
وصقالها وجلالها فصيلة منزلة عند اهل الفضل في الالباب .

١٠

ليكن مما تصرف به الاذى والعذاب عن نفسك الا تكون
حسودا فان الحسد خلق لثيم ومن لوءمه انه يوكل بالادنى قالادنى
من الاقارب والا كفاء والخلطاء فليكن ما تقابل به الحسد ان
تعلم ان خير ما تكون حين تكون مع من هو خير منك وان غنا
لك ان يكون عشيرك وخليطك افضل منك في العلم فتقتبس من
علمه وافضل منك في القوة فيدفع عنك بقوته وافضل منك في
المال فتفيد من ماله وافضل منك في الجاه فتصيب حاجتك بجاهه
وافضل منك في الدين فتزداد صلاحا بصلاحه .

١١

لا تجالس امراً بغير طريقته فانك ان اردت لقاء الجاهل
بالعلم والجافي بالفقه والعي بالبيان لم تزد على ان تضع عقلك
وتؤذي جليستك بحملك عليه ثقل مالا يعرف وغمك اياه بمثل
ما يغتم به الرجل الفصيح من مخاطبة الاعجمي الذي لا يفقه . واعلم
انه ليس من علم تذكره عند غير اهله الا عادوه ونصبوا له ونقضوه
عليك وحرصوا على ان يجعلوه جهلاً حتى ان كثيراً من اللهو
واللعب الذي هو اخف الاشياء على الناس ليحضره من لا يعرفه
فيثقل عليه ويغتم به .

١٢

اتق الفرح عند المحزون واعلم انه يحقد على المنطلق ويشكر
للمكتئب .

١٣

اعلم ان خفض الصوت وسكون الريح ومشي القصد من
دواعي المودة اذا لم يخالط ذلك بأو ولا عجب اما العجب فهو
من دواعي المقت والشنآن .

١٤

تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ومن حسن
الاستماع امهال المتكلم حتى يقضي حديثه وقلة التلفت الى الجواب
والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي لما يقول .

١٥

اذا كنت في قوم ليسوا بلغاء ولا فصحاء فدع التطاول
عليهم في البلاغة او الفصاحة .

١٦

اعلم ان بعض شدة الحذر عون عليك فيما تحذر وان شدة
الاتقاء تدعو اليك ما تتقى .

١٧

اني مخبرك عن صاحب كان أعظم الناس في عيني وكان
رأس ما اعظمه عندي صغر الدنيا في عينه كان خارجا من
سلطان بطنه فلا يشتهي مالا يجده ولا يكثر اذا وجد وكان خارجا
من سلطان فرجه فلا يدعو اليه موعنة ولا يستخف له رأيا ولا
بدنا وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يقدم الا على ثقة او منفعة

وكان أكثر دهره صامثا فإذا قال بذ القائلين وكان يرى ضعيفا
مستضعفا فإذا جاء الجد فهو الليث عاديا وكان لا يدخل في دعوى
ولا يشرك في مرأ ولا يدلي بحجة حتى يجد قاضيا عدلا وشهودا
عدولا وكان لا يلوم احدا على ما قد يكون العذر في مثله حتى
يعلم ما اعتذاره وكان لا يشكو وجعا الا الى من يرجو عنده البرء
ولا يصحب الا من يرجو عنده النصيحة وكان لا يتبرم ولا يتسخط
ولا يتشهى ولا يتشكى ولا ينتقم من الولي ولا بغفل عن العدو ولا
يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه بحيلته وقوته .
فعليك بهذه الاخلاق ان اطلقت ولن تطبق ولكن اخذ
القليل خير من ترك الجميع وبالله التوفيق .

امثلة من رسائله

١

كتب يعزي عن ولد :

انما يستوجب على الله وعده من صبر الله بحقه فلا تجمعن
الى ما فجعت به من ولدك الفجيعة بالاجر عليه والعوض منه فانها
اعظم المصيبتين عليك وانكى المرزيتين لك اخلف الله عليك بخير
وذخر لك جزيل الثواب .

٢

وكتب في حاجة :

اما بعد فان من قضى الحوائج لاخوانه واستوجب بذلك
الشكر عليهم فلفسه عمل لا لهم . والمعروف اذا وضع عند من
لا يشكره فهو زرع لا بد لزارعه من حصاده او لعقبه من بعده .
وكتبت اليك ولحاننا التي نحن بها فيما نذكرك حاجة اول ما فيها
معروف تستوجب به الشكر علينا وتدخر به الايادي قبلنا .

٣

وكتب يعزي عن ابنة :

جدد الله لك من هبته ما يكون خلفاً لك بما رزقته وعوضاً
من المصيبة به ورزقك من الثواب عليه اضعاف ما رزأك به منها .
فما اقل كثير الدنيا في قليل الآخرة مع فناء هذه ودوام تلك .



وله من كتاب الى بعض اصدقائه :

كان من خبري بعدك اني قدمت بلد كذا فتبأ لي بعض
ما شخصت له والمحمود على ذلك الله عز وجل وانا على ان يأتيني
خبرك محتاج فاما جملة خبري في فراقك فقلبي مكة كل ماسواك
حرام فيها .



وكتب الى يحيى بن زياد الحارثي ابتداء في الموءاخاة :
اما بعد فان اهل الفضل في اللب والوفاء في الود والكرم في
الخلق لهم من الثناء الحسن في الناس لسان صدق يشيد بفضلهم
ويخبر عن صحة ودهم وثقة مـأخاتهم فيتخير اليهم رغبة الاخوان
ويصطفوني لهم سلامة صدورهم ويحتني لهم ثمة قلوبهم فلا مثني
افضل تقرظاً ولا مخبر اصدق احدثه منه .

وقد لزمتم من الوفاء والكرم فيما بينك وبين الناس طريقة

محمودة نسبت الى مزيها في الفضل وجل بها ثناؤك في الذكر
وشهد لك بها لسان الصدق فعرفت بمناقبها ووسمت بمحاسنها
فاسرع اليك الاخوان برغبتهم مستبقين يتدرون ودك ويصلون
حبلك ابتدار اهل التنافس في حظ رغب نصبت لهم غاية يجري
اليها الطالبون ويفوز بها السابقون . فمن اثبت الله عندك بموضع
الحرز والثقة وملاء بك يده من اخي وفاء ووصلة واستنام منك
الى شعب مأمون وعهد محفوظ وصار مغموراً بفضلك عليه في
الود يتعاطى من مكافأتك مالا يستطيع ويطلب من اثرك في ذلك
غاية بلوغها شديد . فلو كنت لا تؤء اخي من الاخوان الا من
كافاً بودك وبلغ من الغايات حدك ما آخيت احدا ولصرت من
الاخوان صفراً ولكن اخوانك يقرون لك بالفضل وتقبل انت
ميسورهم من الود ولا تعجزهم كلف مكافأتك ولا بلوغ فضلك
فيما بينك وبينهم فانما مثلك في ذلك ومثلهم كما قال الاول :
ومن ينازع سعيد الخير في حسب

ينزع طليحاً ويقصر قيده الصعد

ولم ارد بهذا الثناء عليك تزكيتك ليكون ذلك قرينة عندك
وأخية لي لديك ولكن تحريت فيما وصفت من ذلك الحق والصدق

وتنكبت الاثم والباطل فان القليل من الصدق البريء من الكذب
افضل من كثير الصدق المشوب بالباطل .

ولقد وصفت من مناقبك ومحاسن امورك واني لاخاف الفتنة
عليك حين تسمع بتزكية نفسك وذكرى ما ذكرت من فضلك
لان المدح مفسدة للقلب مبعثة للعجب . ثم رجوت لك المنعة
والعصمة لاني لم اذكر الا حقا والحق ينفي من اللبيب العجب
وخيلاء الكبر ويحمله على الاقتصد والتواضع .

وقد رأيت اذ كنت في الفضل والوفاء على ما وصفت منك
ان آخذ بنصيبي من ودك واصل وثيقة حبي بحبلك فيجري بيننا
من الاخاء اواصر الاسباب التي بها يستحكم الود ويدوم العهد
وعلمت ان تركي ذلك غبن واضاعتي اياه جهل لان التارك للحظ
داخل في الغبن والعائد عن الرشد مرجف الي الغي فارغب من
ودي فيما رغبت فيه من ودك فاني لم ادع شيئا استتلي به منك
الرغبة واجتر به منك المودة الا وقد اقتدت اليك ذريعتي واعملت
نحوك مطيته لترى حرصي على مودتك ورغبتني في مؤاخاتك
والسلام .

٦

وكتب في السلامة جواباً :

اما بعد فقد اتاني كتابك فيما اخبرتنا عنه من صلاحك وصلاح
من قبلك . وفي الذي ذكرت من ذلك نعمة بحلة عظيمة يحمد
عليها وليها المنعم المتفضل المحمود . ونسأله ان يلمنا واياك من
شكره وذكره ما به مزيدها وتأدية حقها .

وسألت ان اكتب اليك بخبرنا ونحن من عافية الله وكفايته
ودفاعه على حال لو اطنبت في ذكرها لم يكن في ذلك احصاء للنعمة
ولا اعتراف بكنه الحق . فنرغب للذي تزداد نعمه علينا في
كل يوم وليلة تظاهرا الا يجعل شكرنا منقوصا ولا مدخولا وان
يرزقنا من كل نعمة كفاءها من المعرفة بفضلها فيها والعمل في اداء
حقها انه ولي قدير .

تحميد لابن المقفع

الحمد لله ذي العظمة القاهرة والآلاء الظاهرة الذي
لا يعجزه شيء ولا يمتنع منه ولا يدفع قضاؤه ولا امره وإنما قوله
إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

والحمد لله الذي خلق الخلق بعلمه ودبر الأمور بحكمه وانفذ
فيما اختار واصطفى منها عزمه بقدرته منه عليها وملكته منه لها لا
معقب لحكمه ولا شريك له في شيء من الأمور يخلق ما يشاء
ويختار ما كان للناس الخيرة في شيء من أمورهم سبحانه الله وتعالى
عما يشركون .

والحمد لله الذي جعل صفو ما اختار من الأمور دينه الذي
ارتضى لنفسه ولمن أراد كرامته من عباده فقام به ملائكته المقربون
يعظمون جلاله ويقديسون أسمائه ويذكرون آلاءه لا يستحسرون
عن عبادته ولا يستكبرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقام
به من اختار من أنبيائه وخلفائه وأوليائه في أرضه يطيعون أمره
ويذبن عن محارمه ويصدقون بوعده ويوفون بعهده ويأخذون
بحقه ويجاهدون عدوه وكان لهم عندما وعدهم من تصديقه قولهم

وافلاجه ججتهم واعزازة دينهم واظهاره حقهم وتمكينه لهم وكان
اعدوه وعدوهم عندما اوعدهم من خزيه واخلاله بأسهم وانتقامه
منهم وغضبه عليهم مضى على ذلك امره ونفذ فيه قضاؤه فيما
مضى وهو ممضيه ومنفذه على ذلك فيما بقي ايتسه ولو كره الكافرون
ليحق الحق ويطل الباطل ولو كره المجرمون .

والحمد لله الذي لا يقضي الامور ولا يدبرها غيره ابتدأها
بعلمه وامضاها بقدرته وهو وليها ومنتهاها وولي الخيرة فيها
والامضاء لما احب ان يمضي منها يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم
الخيرة سبحانه الله وتعالى عما يشركون .

والحمد لله الفتاح العليم العزيز الحكيم ذي المن وال طول
والقدرة والحول الذي لا ممسك لما فتح لا وائاه من رحمته ولا
دافع لما انزل باعدائه من تقمته ولا راد لامره في ذلك وقضائه
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

والحمد لله المتيب بحمده ومنه ابتدأه والمنعم بشكره وعليه
جزاءه والمثني بالايان وهو عطاؤه .

امثلة من حكمه

اطلب الرحمة بالرحمة . من اهلك نفسه في مرضاة غيره
عظمت جنيته . التواضع يورث المحبة . الكبير مقرون به سوء
الظن . الجواد من بذل ما يضمن به . المتكلف لما لا يعنيه متعرض
لما يكره . الفكر مفتاح القلب . عمل البر خير صاحب . احسن
العفو ما كان عن عظيم الجرم . الاعتراف يؤدى الى التوبة .
الاصرار ونعاه الذنوب . من عرف ثمار الاعمال كان حقيقا ان
لا يغرس مرا . بالحزم يتم الظفر . من احب التزكية تعرض
للضحكة . خسر من انفق حياته في غير حقها . من الحق على
السلطان رفع ذي الفضيلة وان يسد فاقته . لا رأي لمن انفراد
برأيه . اكثر محادثة من يصدقك عن عيوبك . فساد الوالى
اضرارعية من جذب الزمان . كن في الخرص على معرفة
عيبك بمنزلة عدوك في معرفة ذلك . من حرم العقل رزي
دنيه و آخرته . لا تحمد نفسك على ما تركت من الذنوب عجزا .
كثرة اعوان السوء مضرة بالعمل . احسن العمل الصالح ما كان
بصدق النية .

الفهرس

صفحة

٣	عصر ابن المقفع
٨	شعب ابن المقفع
١٣	اثر العرب في الفرس
١٨	اثر الفرس في العرب
٢٨	نسب ابن المقفع ووطنه
٣١	اوليته
٣٣	عند ابن هبيرة
٣٤	عند بني العباس
٣٦	ابن المقفع وسفيان بن معاوية
٣٨	علمه وادبه
٤٢	صفته واخلقه
٤٦	حكيمته وآراؤه
٥٢	رميه بالزندقة

صفحة

٥٥	كتبه
٥٥	كائلة ودمنة
٥٨	الادب الصغير
٥١	الادب الكبير
٥٩	الدرة اليتيمة
٦٠	حكم ورسائل متفرقة وتحميدات
٦٠	خد ايتامه « سير ملوك العجم »
٦٠	كتاب التاج في سيرة انوشروان
٦٠	كتاب مزدك
٦١	كتاب آيين نامه
٦١	كتاب قاطيغورياس « المقولات »
٦١	كتاب بارمينياس « العبارة »
٦١	كتاب انالوطيقا
٦١	كتاب المدخل « ايساغوجي »
٦٢	اسلوبه وخصائصه

صفحة

٦٨	شعره
٧١	نصوص من كلام ابن المقفع
٧١	امثلة من الادب الصغير
٧٧	امثلة من الادب الكبير
٨٤	امثلة من رسائله
٨٤	كتاب تعزية عن ولد
٨٢	كتاب في حاجة
٨٤	كتاب تعزية عن ابنة
٨٥	كتاب الى صديق
٨٥	كتاب في ابتداء الموأخاة
٨٨	كتاب في السلامة
٩٠	تحميد لابن المقفع
٩٢	امثلة من حكمه

جدول الخطأ والصواب

خطأ	صواب	سطر	صفحة
اتيجان	لتيجان	٩	٣
لادب	الادب	٢	٦
وتريب	وتعريب	١٦	٢٠
يجمل	يجمل	٨	٢٢
فلم	فلما	١٢	٢٢
ن	بن	٣	٢٤
الاذب	الادب	٢	٢٧
هم	هم	١٥	٢١
التقارير	التقارير	٢	٣٦
ذهب	اذهب	٨	٤٥
الحدث	الحدس	١	٥٥
والشعر	والشعر	٨	٥٦
الفهلوية	الفهلوية	١٥ و ١٦	٥٦

خطأ	صواب	سطر
الفارسي	الفارسي	١
لقد	ولقد	١٥
كأت	كأتب	٦
المناسبات	المناسبات	٣
مادية	مادية	٨
الا ان ابن المقفع	الا ابن المقفع	١١
الاحتجاج	الاحتجاج	١٥
لا يشير	ولا يشير	٢
مدل	البدل	٦
وتحننك	وتحننك	٢

انتظروا الرسالة الثالثة من ائمة الادب

الوزيران

ابن العميد و صاحب بن عباد

ترجمة دراسة مختارات



